
مزيل اللبس
عن
آداب وأسرار القواعد الخمس
دراسة وتحقيق

مُزيل اللبس

عن

آداب وأسرار القواعد الخمس

مزيل اللبس

عن

آداب وأسرار القواعد الخمس

لأبي عبد الله محمد بن علي الخروبي

المتوفى بعد عام 960هـ

دراسة وتحقيق

الدكتور جمعة مصطفى الفيتوري

دار المدار الإسلامي

الطبعة الأولى

حزيران/يونيو/الصيف 2002 إفرنجي

رقم الإيداع المحلي 4442/ 2002

ردمك (رقم الإيداع الدولي) ISBN 9959-29-103-0

دار الكتب الوطنية/ بنغازي ـ ليبيا

تصميم الغلاف: نقوش

دار المدار الإسلامي

أوتوستراد شاتيلا ـ الطيونة، شارع هادي نصر الله ـ بناية فرحات وحجيج، طابق 5،

خليوي: 933989 ـ 03 ـ هاتف وفاكس: 542778 . 1 . 00961

بيروت ـ لبنان

توزيع دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية:

زاوية الدهماني، السوق الأخضر، ص.ب: 13498، هاتف: 4448750ـ4449903ـ3338571. 21 . 00218

فاكس: 4442758 . 21 . 00218، طرابلس ـ الجماهيرية العظمى

الإهداء

إلى

رفيقة الدرب الطويل ونداء الأمل.

إلى

هبة الله وغرس الفضيلة أبنائي.

أهدي ثمرة العمر. وفيئة العائد بتوفيق الله.

المحقق

المقدمة

تعد الدراسة التي تقدم النص المحقق خطوة ثانية على طريق درس تراثنا الفكري من منظور علاقة الباحث بقيمة النص وجدله معه.

إذا كانت الخطوة الأولى هي إخراج النص كما أراد له صاحبه بعد دراسة متأملة لعبارات المؤلف ومقارنتها بمؤلفاته السابقة لا سيما إن كان المخطوط قد كتب بعد زمن المؤلف فربما دخل فيه الخرم أو الطمس أو الإضافة من قبل الناسخ دون قصد، أو اختلطت فيه التعليقات التي همشها العلماء على المخطوط لذا ينبغي التركيز على النص ذاته.

وإذا كان التحقيق والدراسة قد استغرقا وقتاً فقد كان ثمة طوارىء تفرضها الحياة كي تصرفني عنها ولكن العود أفضل بإذنه تعالى عليه توكلت وإليه أنيب.

المحقق

الفصل الأول

الحالة التاريخية لليبيا خلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين

كانت ليبيا قبل غزوها من قبل الأسبان تحت رعاية الحكم العربي الإسلامي الذي بدأ في العام الثاني والعشرين الهجري واستمر حتى بداية القرن العاشر الهجري، حكم تميز بنشر اللغة العربية وعقيدة القرآن التوحيدية بين السكان القاطنين للعدوة الأفريقية، حكم اشتهر بالتسامح الديني[1]، وبالأخلاق الحميدة[2]،

(1) انطلاقا من قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ البقرة: 256.

(2) هناك المئات من الآيات القرآنية التي تدعو إلى السلوك الحسن، وإذا قرأت هذه الآيات تأكدت أن عقيدة القرآن التوحيدية، لم ترسل إلا لتهذيب النفس الإنسانية، فهناك الأخلاق الاجتماعية والأسرية والفردية وأخلاق الدولة، انظر في هذا الصدد: محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن الكريم، مكتبة البحوث العلمية، بيروت، لبنان.

حكم لم يجد أهالي العدوة الأفريقية أمامهم إلا أن يخضعوا له بكل احترام، مقتنعين أنه الدين الذي لا يملك الإنسان حياله إلا أن يكون أحد أبنائه، متمتعاً بظلاله الباردة، وجنانه الخضراء.

استهلت ليبيا قرنها العاشر الهجري بغزو الأسبان، الذين احتلوا مدينة طرابلس يوم الثامن عشر من ربيع الأول سنة ست عشرة وتسعمائة الهجرية الموافق للثالث والعشرين من يوليو عام عشرة وخمسمائة وألف الميلادي، بعد أن استشهد الآلاف من الليبيين، الذين ماتوا مستميتين للدفاع عن أرضهم، وأخذ الشيخ عبد الله بن شرف والي طرابلس، هو وأفراد أسرته أسرى، ومن ثم نفيهم إلى جزيرة صقلية[1]

ـ استمر فرسان القديس يوحنا[2] في حكم مدينة طرابلس

---

(1) الطاهر أحمد الزاوي، ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي، ط / 1، 1390هـ ـ 1970، الفتح للطباعة والنشر، بيروت، والسيد محمد الرماح بشينة، ليبيا، ص 143. وأحمد بك الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا ص 185، ومحمد بن غلبون، تاريخ طرابلس الغرب المسمى التذكار، تعليق الطاهر الزاوي، القاهرة 1349هـ، ص 92 ـ 93.

(2) هي منظمة مسيحية نشأت منذ الحروب الصليبية الأولى، أسسها جيرارد، بعد أن حصل على موافقة البابا سكال الثاني على قيامها بعمل استباري (Hospillallers) بمدينة القدس. وقد استطاع صلاح الدين الأيوبي طردهم سنة 1187م، من بيت المقدس مما جعلهم يتخذون مدينة قبرص مقرا لعملهم الكنسي، حيث تحولت المنظمة إلى قوة عسكرية هدفها مواجهة =

ابتداء من سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة الهجرية الموافق عام خمسة وثلاثين وخمسمائة وألف الميلادي، وذلك بعد أن تنازل لهم الأسبان عنها، قاوم الطرابلسيون هؤلاء الغزاة ولكن لم يفلحوا في طردهم، حتى جاء سنان باشا بأسطول بحري عثماني لا قبل لهم به، وطردهم عن طرابلس يوم الثالث عشر من شعبان عام ثمانية وخمسين وتسعمائة الهجري الموافق السادس عشر أغسطس عام واحد وخمسين وخمسمائة وألف الميلادي[1]

- بعد الاحتلال الأسباني، ثم احتلال فرسان القديس يوحنا لطرابلس الذي استمر زهاء اثنين وأربعين عاماً، رجع الحكم الإسلامي إليها، وتمَّ تعيين مراد أغا حاكما لها عام ثمانية وخمسين وتسعمائة الهجري الموافق واحد وخمسين وخمسمائة وألف الميلادي من قبل الدولة العثمانية، أخذ الوالي مراد في الاهتمام بالنواحي العمرانية والاقتصادية والتجارية والصناعية والزراعية لمدينة طرابلس، وشجع الناس الذين نزحوا إلى الدواخل أيام الحرب على الرجوع إلى طرابلس[2]

الإسلام في حوض البحر المتوسط. شارل فيرو الحوليات الليبية، ت، عبد الكريم الوافي، ط 2. 1983 نشر المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان طرابلس ص 90.

(1) ولاة طرابلس، ص 144.

(2) المرجع السابق، ص 154، تاريخ طرابلس الغرب، ص 93 ـ 94. المنهل العذب، ص 188، 189.

ـ في سنة ستين وتسعمائة الهجرية الموافق ثلاث وخمسين وخمسمائة وألف ميلادية عين طورغود باشا والياً على طرابلس بأمر من السلطان سليمان خلفاً لمراد آغا، واهتم الوالي الجديد بالبنية التحتية للبلاد، مستعينا في إنجاز هذا العمل بفيىء وغنائم أسطوله البحري الذي كان يغزو بلدان أوروبا. كما ضم صفاقس إلى ملكه، وأصبح مهيب الجانب بفضل تطويره لأسطوله البحري، وعرفت البلاد في ولايته رخاء اقتصاديا، ونشاطا عمرانيا[1]

ـ في عام اثنين وسبعين وتسعمائة الهجري الموافق أربعة وخمسين وخمسمائة وألف الميلادي، أعلنت الدولة العثمانية الحرب على مالطا التي كان بها فرسان القديس يوحنا المحرضين للدول الأوروبية على المسلمين، فنشبت الحرب بينهما، وانظم طورغود باشا بأسطوله البحري إلى جانب البحرية العثمانية في هذه الحرب، والذي استشهد فيها عام ثلاثة وسبعين وتسعمائة هجري، ودفن بطرابلس[2]

ـ في عام ثلاثة وسبعين وتسعمائة الهجري توفي يحيى باشا الذي خلف طورغود باشا في ولاية طرابلس ورئاسة الأسطول البحري، وخلفه مصطفى باشا في ولاية طرابلس،

(1) ولاة طرابلس، ص 156 ـ 157. المنهل العذب، ص 209.

(2) المرجع السابق، 157 ـ 158، المنهل العذب، ص 210. تاريخ طرابلس الغرب، ص 98.

وفي سنة ثمانين وتسعمائة الهجرية ناصر مصطفى باشا حاكم القيروان حيدر باشا على الأسبان الذين استنصر بهم محمد بن الحسن آخر أمراء الدولة الحفصية، واستطاع مصطفى وحيدر طرد الأسبان من تونس[1]

ـ في عام اثنين وثمانين وتسعمائة الهجري توفي مصطفى باشا، وخلفه محمد باشا التركي الذي كان ذميم الخلق كثير البطش، الأمر الذي جعل أهل غريان يستقلون عنه، وفي عهده حدث النزاع[2] بين المنتصر بن الناصر بن محمد الفاسي عامل فزان وبين زوجه خود[3]، التي راسلت محمد باشا لتسلّمه فزان، ولكنها رفضت هذا التسليم بعد وفاة زوجها، وحاولت الاستقلال بالإقليم، إلا أن الترك استولوا عليه، وعينوا عليه

(1) المرجع السابق، ص 159، 160، المنهل العذاب، ص 210، 211، تاريخ طرابلس الغرب ص 99.

(2) يقال لهذه الأسرة أولاد محمد، وهم من أصل مراكشي، حكموا فزان سنين طويلة، وهي من الأسر الغريبة عن طرابلس التي حكمت فزان، لأن فزان كانت كلما ضعفت فيها السلطة الطرابلسية حاولت الاستقلال عن طرابلس أو استقل بها بعض المغامرين من الغرباء الذين يسعون وراء الشهرة مثل أسرة بني محمد هذه. ولاة طرابلس هامش ص 169.

(3) يتمثل هذا النزاع في أن المنتصر تزوج على خود امرأة من منطقة مرزق والتي كان يقيم عندها فترة أطول من فترة مكوثه عند خود، مما جعل هذه الزوجة تعلن انفصالها عنه، الأمر الذي دفع المنتصر إلى محاصرة قصرها، إلا أنه مات كمداً سنة خمسة وثمانين وتسعمائة الهجرية، أعلام ليبيا، ص 105، 106.

حاكماً يسمى مامي[1]

ـ في عام تسعين وتسعمائة الهجري، توفي محمد باشا التركي، وخلفه جعفر باشا على ولاية طرابلس بأمر من السلطان مراد. تميز حكم جعفر بالفوضى الإدارية، والفساد الاقتصادي، وأخذ الناس ينهبون بعضهم بعضاً، ونتيجة لهذه الفوضى ثار أهل فزان على مامي التركي حاكم المدينة، فقتلوه سنة تسعين وتسعمائة الهجرية، أما يحيى السويدي، فثار على جعفر نواحي تاجوراء، وانضم إليه أهل مسلاته، مما جعل جعفر باشا يعد جيشاً ويهاجم مسلاته، ولكن النصر لم يحالفه، حيث قتل المئات من جيشه، مما جعله يتراجع إلى طرابلس، ويبقى محصوراً بداخل أسوارها، نتيجة لمطاردة يحيى له، واستمر هذا الحصار إلى سنة ثمانية وتسعين وتسعمائة الهجرية، عندما تدخل شيخ أولاد نوير وقلب ظهر المجن لصالح جعفر، حيث قتل يحيى، واستمر جعفر والياً على طرابلس إلى سنة اثنتي عشرة وألف الهجرية، وهي السنة التي تمَّ عزله من الحكم من قبل الجند الذين ثاروا عليه، ولم يرتضوا به حاكما[2]

ـ في أواخر عام تسعين وتسعمائة الهجري، قام أهل فزان بالثورة على الحاكم التركي فقتلوه، وأرسلوا إلى الناصر بن

---

(1) ولاة طرابلس، ص 161 ـ 162، المنهل العذب، ص 215.

(2) ولاة طرابلس، ص 163 ـ 166. المنهل العذب، ص 225، 226. وتاريخ طرابلس، الغرب، ص 100 ـ 101.

المنتصر بن محمد الفاسي المقيم بالسودان ليكون حاكماً عليهم، فجاء إليهم، وتولى حكم فزان حتى سنة ثمان وألف الهجرية، وهي السنة التي مات فيها نتيجة مرضه[1]

ـ في سنة اثنتي عشرة وألف الهجرية، تولى سليمان داي ولاية طرابلس تنفيذاً لرغبة الجند ودون علم السلطان التركي. خلال السنوات الأولى من حكمه كان محموداً من قبل المجتمع، بفعل أخلاقه الحسنة، وقوة حزمه في إدارة البلاد[2]

ـ في سنة خمس عشرة وألف الهجرية، ثار أهل تاجوراء على سليمان داي، وعينوا أويس حاكما عليهم، فخرج إليهم لردهم إلى ملكه، ولكنه لم يوفق بفعل تحالف بني رقيعة مع أهل تاجوراء، هذا التحالف لم يستمر طويلا، حيث حدث الخلاف بينهما، مما جعل سليمان داي ينتصر على أهل تاجوراء، ودخل المدينة، فقتل ونهب، واستباح المحرمات[3]

ـ في سنة عشرين وألف الهجرية استولى سليمان داي على فزان، وعيَّن عليها حسين النعاس، وذلك بعد أن قتل المنصور ابن الناصر حاكم المدينة، إلاّ أن أهل فزان ثاروا على حسين

---

(1) المرجع السابق، ص 168 ـ 169.

(2) المرجع السابق، ص 170، المنهل العذب، تاريخ طرابلس الغرب، ص 10. ص 225.

(3) المرجع السابق، ص 170 ـ 171. المنهل العذب، ص 226 ـ 227. تاريخ طرابلس الغرب، ص 102.

سنة اثنتين وعشرين وألف الهجرية، وعينوا عليهم الطاهر الناصر[1]

- في عام ثلاثة وعشرين وألف الهجري أعدم سليمان داي على ظهر سفينة الجيش العثماني التي جاءت إلى سواحل تاجوراء بدعوة من أهلها الذين ضجروا من استبداد حكم سليمان[2]

- في عام خمسة وثلاثين وألف الهجري بايع أهل طرابلس بالولاية لرمضان داي، الذي استمر في حكمها إلى سنة اثنتين وأربعين وألف الهجرية، وهي السنة التي تنازل فيها عن الحكم إلى محمد باشا الساقزلي، بعد أن عجز عن إدارة شؤون البلاد[3]

- تولى محمد باشا الساقزلي حكم طرابلس، وأخذ في فرض الضرائب على الأهالي، ووصلت هذه الضرائب إلى كل مواطن يملك نخلة أو زيتونة يدفع عليها بيضة ضريبة امتلاكها[4] إنها حالة تكشف لنا بجلاء عن سوء الحالة

(1) ولاة طرابلس، ص 172. المنهل العذب، ص 228 تاريخ طرابلس الغرب، ص 103.

(2) المرجع السابق، ص 172. المنهل العذب، ص 229. تاريخ طرابلس الغرب، ص 103.

(3) المرجع السابق، ص 176. المنهل العذب، ص 231، 232. تاريخ طرابلس الغرب، ص 104 ـ 105.

(4) المرجع السابق، ص178 ـ 179. المنهل العذب، ص 232. تاريخ طرابلس الغرب، ص 106 ـ 107.

الاقتصادية التي كانت تعاني منها البلاد آنذاك.

- في عام ثلاثة وأربعين وألف الهجري، ثار أهل تاورغاء على محمد الساقزلي بقيادة جبر بن موسى التاورغي الذي انتصر على الوالي ومن معه من الأتراك، إلا أن محمد الساقزلي أعاد الكرة على الثائر ومن معه، فانتصر عليه، وجاء به أسيراً هو وأفراد أسرته إلى مدينة مصراته، وقام بقتل أولاده، ودفنهم خارج المقبرة العامة[1].

- في أواخر عام ثلاثة وأربعين وألف الهجري غزا عثمان الساقزلي أوجلة - بأمر من محمد باشا- بعد خداع ومكر أهل البلدة بقيادة أحمد بن عبد الهادي الذي كان صاحب نفوذ وقوة، وأخذ القائد التركي في سلب أموال البلدة، حتى إنه نهب ما يوجد في آذان الأطفال من أقراط، وقام بسجن النساء، وأسر قائد البلدة وأحضره إلى طرابلس هو وأفراد أسرته وأقاربه وأصدقائه[2].

- في عام تسعة وخمسين وألف الهجري مات محمد الساقزلي، وتولى الحكم بعده عثمان باشا الذي كان عاملاً على ساحل الأحامد، ورئيسا لجيش الفرسان، بدأ هذا الوالي حكمه بإلغاء بعض الضرائب، وإعطاء بعض النقود للجند، وراسل

---

(1) ولاة طرابلس، ص179 - 180. المنهل العذب، ص 234، 235. تاريخ طرابلس الغرب، ص 110 - 111.

(2) ولاة طرابلس، ص 180 - 182. المنهل العذب، ص 235.

السلطان محمد الرابع طالبا منه إسناد ولاية طرابلس إليه، وفي سنة ستين وألف الهجرية جاءه التقليد السلطاني بالولاية، اهتم عثمان باشا بالأسطول البحري، إلا أن نزعته الشريرة الكامنة في أعماق نفسه جعلته يستأثر ببضاعة البحر كان ذا مكر وخبث، لا يرقب في مؤمن إلاّ ولا ذمة، فرض على الفلاحين أن يحرثوا له جزءاً من أرضهم باسمه، ويأتوا بمحصولهم إليه، إضافة إلى العشر الذي يدفعونه إلى الخزينة العامة. جاء بأبناء أخيه النصرانيين وعينهم قادةً، فظلموا الناس، وبفعل هذه الأعمال الخبيثة الخسيسة، ضاق الجند والناس ذرعاً بالوالي، مما جعل الجند يعلنون الثورة عليه عام ثلاثة وثمانين وألف الهجري[1]

ـ بفعل تلك الثورة انتحر عثمان باشا الساقزلي، وولى الجند عثمان ريس الشوهلي رئيسا عليهم، إلا أن هذه البيعة لم تستمر طويلاً حتى بايع الجند بالي شاوش خلفاً لعثمان ريس الذي قتل على أيديهم يوم التاسع من شعبان عام ثلاثة وثمانين وألف الهجري. تميز حكمه بالقضاء على أهل الفساد، وعرفت طرابلس في حكمه نوعاً من الاستقرار[2]

ـ في السابع من ربيع الأول سنة ست وثمانين وألف

(1) ولاة طرابلس، ص 185 ـ 186. المنهل العذب، ص 232. تاريخ طرابلس الغرب، ص 106 ـ 107.

(2) المرجع السابق، ص 187، 188. المنهل العذب، ص 245، تاريخ طرابلس الغرب، ص 128.

الهجرية، عزل مصطفى بهلول الذي تولى بعد بالي شاوش، و انتخب الجند إبراهيم بن المصري والياً على طرابلس، كان معظماً لحرمات الله، عادلا، شديد البأس على أهل الجور، فرض على الجند وفرة اللّحى[1]، وعدم لبس الحرير والذهب، وعدم المجاهرة بالزنا وشرب الخمر.

هذه الأوامر لم تكن مستحسنة لدى الجند الذين كانوا مبحرين بالأسطول للغزو، الأمر الذي جعلهم يرسون بالغنائم في ميناء الإسكندرية ويبيعونها، وأعلنوا ولاءهم لمصطفى الكبير الاستنكويلي نكاية في إبراهيم الذي علم بمؤامرتهم، فخرج إلى الإسكندرية، وعندما علم الجند بأمر خروجه عزلوا إبراهيم بن المصري وانتخبوا إبراهيم جلبي انبلي، وعند وصول الأسطول البحري الذي كان غازيا، وعلم بأمر خروج إبراهيم، أعادوا انبلي إلى منصبه العسكري، وجعلوا مصطفى الكبير والياً على ولاية طرابلس عام سبعة وثمانين وألف الهجري. استطاع هذا الوالي تتبع المفسدين من الجند والناس، واستمر في حكم البلاد سنة واحدة حيث توفي في صفر عام ثمانية وثمانين وألف الهجري نتيجة مرضه بالطاعون[2]

- تولى حكم البلاد بعده عثمان وكيل الخراج الذي استمر

---

(1) انطلاقا من قوله صلى الله عليه وسلم: «**حفوا الشوارب ووفروا اللّحى**».

(2) ولاة طرابلس، ص 190 إلى 194. المنهل العذب، ص 248، 251. تاريخ طرابلس الغرب، ص 129 إلى 133.

حاكماً على البلاد مدة سنة، حيث توفي عام تسعة وثمانين وألف الهجري، ورغم قصر فترة حكمه إلا أنها تميزت بالأمن والهدوء[1]

ـ بعد وفاة عثمان، انتخب الجند آق محمد الحداد خلفا له والذي كان ذميم الخلق، جباراً. اتفق بعض قادة الجند على قتله، ولكنهم لم يفلحوا، حيث كشف مؤامرتهم عن طريق الوشاية، قطع أيدي وأرجل بعضهم، وبعضهم الآخر قطع يده ورجله، واستمر آق في ظلم الناس، وابتزاز أموالهم. علم مصطفى جلبي ـ كان واليا ـ الذي كان منفيا بجربة، بتضايق الشعب من ظلم ذلك الحاكم، فانتقل إلى جبل نفوسة وجمع حوله قبائل المحاميد، وأعلنوا الثورة ضد آق، كما ثار أهل غريان، وسار مراد الأرنؤوطي بجماعة من الفرسان إلى طرابلس، حيث وجدوا نفوس الجند هناك منهارة من تصرفات الوالي، فانظموا إليهم، واستطاعوا قتل الحداد يوم الثامن والعشرين من شعبان عام تسعين وألف الهجري[2]

ـ بعد مقتل آق، عين الجند حسن أباظة يوم ثلاثين شعبان عام تسعين وألف هجري والياً على طرابلس، والذي كان قائداً

(1) المرجع السابق، ص195. المنهل العذب، ص 252. تاريخ طرابلس الغرب، ص 134.

(2) المرجع السابق، ص 196. المنهل العذب، ص 252. تاريخ طرابلس الغرب، ص 133 ـ 134.

في الجيش، عديم الرأي، ضعيف الإرادة، الأمر الذي جعله يسند قيادة الجيش إلى مراد الأرنؤوطي، الذي تميز بالاستبداد وحب الرياسة.

ـ وفي عام ثلاث وتسعين وألف الهجري، امتنع النجيب محمد بن جهم حاكم فزان عن دفع الخراج، فخرج إليه مراد في جيش، فهزمه، وقتله، واتفق مراد مع الجند على خلع حسين أباظة من الولاية، ونفيه إلى جربة، وفعلا أنجزوا هذا الاتفاق يوم الخامس من جمادى الآخرة سنة أربع وتسعين وألف الهجرية[1].

ـ بعد قرار النفي الذي شمل أباظه، عين الجند يلك محمود والياً على طرابلس، ولكنه لم يبق في الحكم سوى يومين، حيث عزله الجند، وعينوا علي الجزائري خلفا له يوم الثالث عشر من جمادي الآخرة، عام أربعة وتسعين وألف الهجري، كان هذا الوالي، واهن الإرادة، مما جعل مراد الأرنؤوطي، يهجم عليه وينفيه إلى الآستانة[2].

ـ في السادس من رجب عام خمسة وتسعين وألف الهجري عين الجند عبد الله الأزميرلي والياً على طرابلس،

---

(1) ولاة طرابلس، ص 198. المنهل العذب، ص 253 ـ 254. تاريخ طرابلس الغرب، ص 136 ـ 137.

(2) المرجع السابق، ص 199 ـ 200. تاريخ طرابلس الغرب، ص 138 ـ 139.

ولكنه نتيجة لضعف شخصيته استأثر مراد الأرنؤوطي بالحكم[1]

ـ في أواخر جمادى الآخرة عام ستة وتسعين وألف الهجري هاجم الأسبان مدينة طرابلس، نتيجة الفوضى التي كانت عليها البلاد، ولم يجد الأسبان مقاومة من قبل الجند بسبب خلو الحصون من وسائل الدفاع، وضعف القوات البحرية والبرية، سئم المجتمع حياة الحرب والدمار، لذا ذهبوا إلى الوالي عبد الله الأزميرلي مقترحين عليه فرض غرامة على السكان نتيجة عجزهم عن الدفاع، وإعطائها للأسبان، وفعلا تمّ قبول الاقتراح من قبل الأسبان، حيث أخذوا تلك الأموال، ورحلوا عن طرابلس ولم يحتلوها[2]

ـ في أربعة وعشرين من ربيع الأول عام ثمانية وتسعين وألف الهجري، ألّب مراد الأرنؤوطي الجند على الوالي عبد الله، فسجنوه وقتلوا معظم رفقائه، وعينوا إبراهيم الترزي خلفاً له، الذي اشتهر بالشجاعة والحزم، استهل هذا الوالي ولايته بالقضاء على مراد لأنه هو المسبب الرئيس للمشاكل، حيث قتله. وفي أواخر ذي الحجة من عام ثمانية وتسعين وألف

(1) المرجع السابق، ص 201. المنهل العذب، ص 259. تاريخ طرابلس الغرب، ص 140 ـ 141.

(2) ولاة طرابلس، ص 201 ـ 202. المنهل العذب، تاريخ طرابلس الغرب، ص 140.

الهجري، ثار الجند بقيادة حسن (كلايجي) على إبراهيم الترزي، وعينوا شائب العين خلفا له[1]

ـ كان شائب العين أو (محمد الإمام) رجلا تقيا، نزيها، ذا رأي وحزم، استطاع بحنكته تكوين أسطول بحري مكّنه من القيام بالعديد من الغزوات البحرية، فغنم به أموالا كثيرة، أنفقها في العمران، وفي عام اثنين ومائة وألف الهجري، نقض الصلح الذي أبرمه عبد الله الأزميرى مع الأسبان، مما جعل نار الأسبان تتأجج، فجاءوا بأسطولهم البحري في أواخر رمضان من هذه السنة، وهاجموا مدينة طرابلس، ولكنهم لم يفلحوا في فتحها لشدة تحصيناتها، فرجعوا يجرون خلفهم أذيال الهزيمة[2]

ـ في عام اثني عشر ومائة وألف الهجري، ثار الجند ضدّ شائب العين، مما جعله يتوجه إلى الاستانة ويمكث فيها إلى سنة تسع عشرة ومائة وألف الهجرية، وهي السنة التي تولى فيها صهره خليل (فازداغلي) ولاية طرابلس، وبقي إلى أن مات عام خمسة عشر ومائة وألف الهجري، تاركاً وراءه سيرته الحسنة وأخلاقه النبيلة تتحدث عنه[3]

(1) المرجع السابق، ص 202 ـ 205. المنهل العذب، ص 260 تاريخ طرابلس الغرب، ص 142.

(2) المرجع السابق، ص 206، 207. المنهل العذب، ص 261 تاريخ طرابلس الغرب، ص 142 ـ 151.

(3) ولاة طرابلس، ص 206، 208. المنهل العذب، ص 261، تاريخ طرابلس الغرب، ص 142 ـ 151.

هذه هي حالة ليبيا خلال القرنين العاشر والحادي عشر، وبداية القرن الثاني عشر الهجري، بقيت فيها البلاد تحت سيطرة الحكم التركي زهاء ثلاثة قرون ابتداءً من منتصف القرن العاشر الهجري أي سنة ثمان وخمسين وتسعمائة الهجرية، وحتى بداية القرن الثاني عشر الهجري أي عام ثلاثة وعشرين ومائة وألف الهجري، وهي فترة ركود وكساد اقتصادي، وتدهور واستبداد سياسي، وإهمال عمراني، فترة حكم ذاق فيها الشعب العربي المسلم في ليبيا صنوفاً من العذاب الاقتصادي والاضطهاد السياسي من قبل ولاة الأتراك، الذين غلب عليهم الطابع الأمي فهناك الخياط، والقهواجي، والعسكري الفاشل، لم يترك هؤلاء الولاة الأتراك في نفوس الليبيين إلا حسرة وألما بفعل أخلاقهم الذميمة، وتصرفاتهم التعسفية. وبانتهاء الحكم التركي الأول يأتي الحكم التركي الثاني تتصدره الأسرة (القره مانلية) التي استمرت في الحكم حتى القرن الثالث عشر الهجري، أي سنة إحدى وخمسين ومائتين وألف الهجرية.

الفصل الثاني

الخروبي من خلال مؤلفه مزيل اللبس

* المبحث الأول: التعريف بالخروبي، ومؤلفه، ومنهج الدراسة
* المبحث الثاني: دراسة المخطوط

المبحث الأول
التعريف بالخروبي، ومؤلفه، ومنهج الدراسة

مولده:

ولد بعد عام ستة وثمانية وثمانين الهجري الموافق لإحدى وثمانين وأربعمائة وألف الميلادي بقرية قرقارش إحدى ضواحي مدينة طرابلس الليبية غربا [1]

الوالد:

يقول الخروبي الابن عن والده ما نصه: «فأما الوالد فهو عليّ المعروف بالخروبي كان ـ رحمه الله ـ رابع إخوته، وكان من قرية بإزاء طرابلس الغرب يقال لها: قرقارش، نحو ثلاثة

---

(1) الخروبي، شرح الإرادة، ق. مخطوط بمكتبة أوقاف طرابلس. 3/ب تحت عنوان «ذكر بعض الأولياء بطرابلس».

أميال أو أربعة من ناحية الغرب من طرابلس»[1]

كان والد الخروبي رجلاً صالحاً وقوراً بين الناس، مهيب الجانب، ذا رأي محترم يحب الصالحين ويصحبهم، يقول الخروبي الابن في ذلك ما نصه: «كان ـ رحمه الله ـ رجلاً مهاباً، وقوراً، صموتاً، سؤوساً لأمور الخلق يرجعون لرأيه وينقادون لأمره».

الوالدة:

والدة أبي عبد الله الخروبي هي السيدة زهرة بنت الحاج محمد البوديكي المصراتي، كان والده رفيقاً للشيخ أحمد زروق[2] وقد لقب بالديكي لأنه كان كلما زاره الشيخ زروق ذبح له ديكا فلقبه بذلك[3]

كان أبو عبد الله الخروبي فخوراً بوالدته أيما فخر، لأنها امرأة صالحة عصامية، لأنها ربته هو وأخوته على العفة، وعانت من أجلهم صنوف مشقة الحياة يقول في ذلك ما نصه: «وكانت الوالدة ـ رحمها الله ـ حرة صالحة كيِّسة، لم أر في زمانها مثلها، كانت تحوطنا وتجتهد في تعليمنا القرآن، ومن أعجب ما رأيت من اجتهادها في تعليمنا أنها كانت تسهر الليل في عملنا

(1) المصدر السابق، الورقة أ.
(2) المصدر السابق، 2 ـ 3.
(3) شرح الإرادة، ق 4/ 1.

وتوقد لنا القنديل وتجعلنا بإزائها نقرأ السور»[1]

شيوخه:

تتلمذ أبو عبد الله الخروبي على يد ثلة من أهل العلم ذكرهم في كتابه المخطوط «شرح الإرادة» وهم:

(1) **محمد بن الحاج تمام**، على يديه تلقى التربية، وأقراه الوظائف والعقائد والأحزاب الشاذلية، يقول في ذلك ما نصه: «فآوانا وأحسن تربيتنا واجتهد في تعليمنا وضبطنا لطلبه، أقرأنا الوظائف والعقائد وأحزاب الشاذلية، إذ كان رحمه الله من الدائرة الشاذلية، ويحفظ حكم ابن عطاء الله ويفهم معانيها»[2]

(2) الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الحطّاب التاجوري[3]

يقول في حقه الخروبي: «وكان هذا السيد مهابا وقوراً صموتاً، دائم الذكر، ملازما للخلوة إلا إذا خرج للتفسير، أو تقرير كلام القوم، وإظهار معاني حقائقهم، وشرح ما أشكل من عباراتهم، وبيان ما غمض من إشاراتهم. وله في هذه الطريقة

(1) شرح الإرادة، ق 4/1.

(2) المصدر السابق، ق 4/1.

(3) ولد عام 902 هـ. توفي سنة 954 هـ. إمام، علامة، فقيه نحوي، ترجم له كل من: الطاهر الزاوي، أعلام ليبيا، ط1، 1387 هـ = 1961 م. نشر وتوزيع مكتبة الفرجاني، ص 311.أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 592، مخلوف، شجرة النور، ص 269 رقم 997.

أشياخ عظام منهم الولي العارف القطب سيدي أحمد الدهماني[1] ـ وهو عنده العمدة ـ ومنهم مولاي الوالد. .»[2] له تآليف منها: شرح على مختصر خليل. شرح قرة العين في الأصول لإمام الحرمين. حاشية على تفسير البيضاوي. حاشية على الإحياء لم يكمله. شرح قواعد عياض لم يكمله[3]

(3) الحاج الصالح قاسم بن قلاع الطرابلسي المولد والمنشأ. المقبور بفاس. تأثر الخروبي بسلوكه الصوفي[4]

(4) الشيخ عبد النبي الجبالي. التقى به الخروبي بزاوية أبي جعفر[5] بجنزور، أخذ عنه الطريقة[6]

(5) الشيخ خليفة أبو غرارة. أخذ عنه التربية، لطول إقامته معه وخدمته له وذكر كراماته واعتقاد الناس فيه[7]

---

(1) لم أهتد إلى ترجمته.

(2) شرح الإرادة، ق 5/ب.

(3) الزاوي، أعلام ليبيا، ص 312 ـ 314. أحمد الأنصاري، المنهل العذب، 195 ـ 197

(4) الخروبي، شرح الإرادة، ق/6.

(5) أسسها أبو جعفر الزنزوري نهاية القرن التاسع الهجري، وأصبحت داراً للزهاد والصوفية. الطاهر الزاوي، معجم البلدان الليبية. مكتبة النور، طرابلس. طبع سنة 1968، ص 159.

(6) الخروبي، شرح الإرادة، ق 7/ 1.

(7) المصدر السابق، ق 7/ ب. ق 8/ 1.

(6) الشيخ عبد الرحمن التاجوري (الابن)[1] حضر مجالسه العلمية وأخذ عنه التربية.

(7) الشيخ محمد شان الشان، يقول عنه الخروبي: «وممن خدمناه وصحبناه وله علينا تربية ومشيخة الولي البدل سيدي محمد المشهور بشان الشان، كان مجذوبا من أهل الحال. أطبق الناس على ولايته واجتمعت القلوب على محبته»[2]

(8) الشيخ أحمد زروق[3] يقول الخروبي في فضله: «وكان يؤوينا، وينظر في أمورنا، ويؤدبنا بآداب أهل الكمال، ويرقينا إلى مقامات الرجال، ويعلمنا الخير ويحضنا عليه»[4]

(9) الشيخ محمد زيتون. عاشره فترة من الزمن عندما قدم الشيخ واستقر بدار الخروبي وهو في طريقه إلى الحج،

---

(1) توفي عام 960 هـ. فقيه ـ فلكي. ترجم له كل من: أعلام ليبيا ص 158 ـ 160. المنهل العذب، ص 197 ـ 199. شجرة النور، ص 280. رقم 1052.

(2) شرح الإرادة، ق 8/ب و 9/ 1.

(3) **هو أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الشهير بزروق (846 ـ 899هـ = 1442 ـ 1493م)**: فقيه، محدث، صوفي. من مؤلفاته شرح مختصر خليل، النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية، عدة المريد، قواعد التصوف. ترجمته في: جذوة الإقتباس: 60. البستان: 45. الضوء اللامع 1/ 222. المنهل العذب: 1/ 181. شجرة النور: 267.

(4) الخروبي، شرح الإرادة، ق 10/ 1.

والعودة منه[1]

(10) الشيخ يحيى بن علي البجائي. يقول الخروبي في شأنه: «فخدمناه زمانا طويلاً فظهرت علينا أنواره وأشرقت في بواطننا معارفه وأسراره».

(11) الشيخ علي بن أبي تربة التونسي الذي التقى به بتونس عام 932 هـ/ 1325م. وكانت معه أيام جديرة بالذكرى والاحترام. راجع عليه بعض الوظائف والأوراد[2]

ويختم الخروبي سرد أسماء مشايخه بقوله «وكل ما آتينا به من ذكر أشياخنا الكرام، وأساتذتنا العظام، فهو تصديق لقولنا: (رباني أشياخي) وكل ما ذكرنا من أحوالهم الزكية ومقاماتهم العلية وأفعالهم السنية فهو تصديق لقولنا: (أسانيد في الطريقة) ونعني بالطريقة طريقة السادات الصوفية رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم»[3]

وفاته:

توفي بالجزائر العاصمة، ويقول ابن القاضي بأنه توفي بعد الستين وتسعمائة[4] أما ابن عسكر فحدد سنة وفاته بأنها كانت

---

(1) المصدر السابق، ق 10/ب، 11/ 1.

(2) المصدر السابق، الموضع السابق.

(3) المصدر السابق، ق 12/ ب.

(4) جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس، المطبعة الحجرية، فاس 1309هـ = 1891م. ص 205.

عام ثلاث وستين وتسعمائة 963 هـ بالجزائر، وذكر أنه زار فاس مرتين[1]

سفارته السياسية:

بفضل المكانة العلمية التي تألقها بين أقرانه من علماء الجزائر جعلت الدولة العثمانية ترسله باسمها إلى سلطان الدولة السعدية بالمغرب بزعامة أبي عبد الله المهدي وذلك لمناقشة بعض المسائل التي تهم البلدين[2]

المصادر التي تناولته بالترجمة:

ترجم للخروبي كل من: ابن عسكر، دوحة الناشر، ص 93، وابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص 205 ومحمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ص 284. وعبد الله كنون، النبوغ المغربي، ص 367/ 373. ومحمد حجي، الحركة الفكرية في عهد السعديين ص 170/ 171. وعادل نويهض، أعلام الجزائر، ص 167. والحضيكي، طبقات ج 12 ص: 31. ورضا كحالة، معجم المؤلفين ج 11، ص: 2.

---

(1) دوحة الناشر، مصدر سابق.

(2) ابن عسكر، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، المطبعة الحجرية، فاس، 1309هـ = 1892م. ومطبعة دار المغرب، الرباط، 1976م.

مؤلفاته في الخزانات العامة بالمغرب:

ترك الخروبي مجموعة من الكتب مازالت حبيسة رفوف المكتبات العامة والخاصة ذكرتها الكتب التي تناولته بالترجمة وبعضها ما زال طي النسيان كرسالته المسماة (رسالة الإفلاس إلى خواص أهل مدينة فاس) التي تناولت موضوعاً عقدياً فكرياً مهما يمثل جانب المناظرات الفكرية التي دارت بينه وبين علماء فاس كالهبطي[1] واليسثيني[2] حول موضوع المنفي في الهيللة (لا إله إلا الله)[3]

(1) **الهبطي عبد الله بن محمد (ت 963هـ/ 1556م)**: من فقهاء العلماء. أخذ الشيخ العزواني من تصانيفه: تقييد في معنى قول (لا إله إلا الله). (خ).
ـ محمد القادري، نشر المثاني، ج ص: 18. مخلوف، شجرة النور ص: 84. كنون، النبوغ المغربي، ص: 251.

(2) **اليسثيني محمد بن أحمد (897 ـ 959هـ = 1492 ـ 1552م)**: من فقهاء المالكية. من أهل فاس له كتاب في (حقوق السلطان على الرعية وحقوقهم عليه) و(شرح مختصر خليل) و(رسالة في الهيللة). انظر محمد مخلوف شجرة النور ص: 283. أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج ص: 594. كنون، النبوغ 250.

(3) انظر عبد الله كنون، النبوغ المغربي ص: 367 ـ 373.

من الخزانات المغربية
التي تحتفظ بمؤلفات الخروبي نذكر:

1 ـ الخزانة العامة بالرباط ويوجد بها:

أ ـ مزيل اللبس عن آداب وأسرار القواعد الخمس. يوجد تحت رقم 1860د، ضمن مجموع من ورقة من ص 33 إلى 59.

ب ـ شرح الحكم العطائية. يوجد تحت رقم 1792د.

2 ـ خزانة القرويين ويوجد بها:

أ ـ شرح الصلاة المشيشية. يوجد تحت رقم 1425/ 3. ضمن مجموع من ص 39 أ إلى 46 أ.

ب ـ شرح أصول الطريقة. يوجد تحت رقم 1528/ 2. ضمن من ص 130 ـ ب إلى 150 ـ أ.

ت ـ شرح آخر للصلاة المشيشية: يوجد تحت رقم 1438.

3 ـ خزانة تطوان ويوجد بها:

أ ـ شرح الصلاة المشيشية يوجد تحت رقم 591 ـ 345/ 13 ـ 353م.

ب ـ الدرة الشريفة في الكلام على أصول الطريقة، يوجد تحت رقم 874 ـ 99.

ت ـ أبيات الأنام في مدح خير الأنام، يوجد تحت رقمي 518م ـ 701م.

دوافع تأليف مزيل اللبس:

يغلب على النفس البشرية ظاهرة النسيان لأمور الشريعة وذلك لانشغالها بهوى النفس والشيطان، الأمر الذي جعلها تحت ربقة ملذات وشهوات الدنيا الزائلة. ولهذا نجد القرآن الكريم يقف ضد أهم عدوين للإنسان هما النفس والشيطان، يقول الله تعالى بشأن ذلك: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[1] ويقول: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾[2] وانطلاقا من هذا المبدأ الأخلاقي محاربة الهوى والشيطان ـ قام الخروبي بتأليف كتابه المسمى (مزيل اللبس عن آداب وأسرار القواعد الخمس)، قول الخروبي في صدد دوافع تأليفه للكتاب (والحامل لي على وضع هذا الكتاب إني رأيت أمة المؤمنين عن آداب القواعد الخمس معرضين، وخاصتهم عن أسرارها ومواطن القرب منها ساهين، فرأيت أن أنبه الجميع لذلك توفية لحقوق الأخوة الإيمانية)[3]

أهمية الكتاب العقدية:

تكمن أهمية «مزيل اللبس» في كونه يمثل المدخل الأساسي لمعرفة أركان عقيدة القرآن التوحيدية التي يحتاج إليها المسلم في سلوكه التعبدي.

(1) سورة ص، الآية: 26.
(2) البقرة: 168، 208. الأنعام: 142.
(3) هذا الكلام المؤلف في ص: 8 من هذه البحث.

منهج الدراسة والتحقيق:

اعتمد الباحث على مخطوطتين للكتاب:

المخطوطة الأولى: توجد بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1860د ضمن مجموع من ورقة 1/ب إلى 9/ب. مسطرتها 23 ومقياسها 230/160. خطها مغربي لا بأس به. رمزت لها بالحرف ـ أ.

المخطوطة الثانية: توجد بمكتبة خاصة بصفرو ضواحي مدينة فاس اشتملت على إحدى وعشرين صفحة مسطرتها 23 ومقياسها 230 × 160. لم يذكر الناسخ اسمه، نسخت أواخر صفر 1006هـ. خطها مغربي واضح وسميك إلى البياض. رمزت لها بالرمز ـ ب. تتفق كل من المخطوطتين في البداية: الحمد لله الذي نور أسرار العارفين بأنوار معرفته.

ومن أجل الوصول إلى نص أمين للمخطوطة قام الباحث بالخطوات الآتية

(1) الاعتماد على المخطوطة ب وجعلها أصلاً وذلك لقلة تحريفاتها وسقطاتها.

(2) مقابلة النسختين لمعرفة الكلمات والجمل الناقصة والزائدة.

(3) نسخ المخطوطة وكتابتها بالخط المشرقي باعتباره السائد في لغة الطباعة.

(4) تخريج الآيات القرآنية وإرجاعها إلى سور القرآن مع بيان رقمها.

(5) تخريج الأحاديث النبوية وإرجاعها إلى كتب الحديث المعروفة.

(6) تخريج الأعلام وذلك بإعطاء ترجمة موجزة عنهم مع بيان المصادر التي ترجمت لهم.

(7) شرح بعض المصطلحات والمفاهيم الواردة في الكتاب.

(8) وضعت عناوين لبداية المباحث والقواعد بين معكوفتين.

محتويات كتاب مزيل اللبس

تناول الخروبي في مؤلفه ما يأتي:

المقدمة: أهمية الكتاب ـ دوافع تأليفه ـ القواعد الخمس للإسلام:

القاعدة الأولى: شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

القاعدة الثانية: إقامة الصلاة.

القاعدة الثالثة: إيتاء الزكاة.

القاعدة الرابعة: صوم رمضان.

القاعدة الخامسة: حج بيت الله لمن استطاع إليه سبيلا.

الخاتمة

وكتاب بهذه المنهجية جدير أن يدرس.

المبحث الثاني
دراسة المخطوط

وصف مخطوطة مزيل اللبس عن أسرار القواعد الخمس لمحمد بن علي الخروبي

المخطوطة الأولى:

توجد المخطوطة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1860د، ضمن مجموع من 1/ب إلى 9/ب.

ص: 9 صفحات. س: 23 .ق: 23 × 16.

خ: مغربي واضح. و: جيد.

المخطوطة الثانية:

رمزت لها بالرمز ـ أ ـ، لم يذكر الناسخ اسمه، نسخت أواخر صفر 1006هـ.

توجد المخطوطة بخزانة خاصة بصفرو ووصفها كالتالي:

ص: 9 .س: 23 .ق: 19 × 13.

خ: مغربي جيد. و: أبيض خفيف.

رمزت لها ـ ب ـ

تتفق المخطوطتان في البداية: الحمد لله الذي نور أسرار العارفين بأنوار معرفته.

منهجية المؤلف في الكتاب

قسم المؤلف كتابه إلى مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة، ففي المقدمة تناول الواقع الرئيسي لتأليفه للكتاب حيث بيّن أن «عامة المؤمنين عن القواعد الخمس معرضين وخاصتهم عن أسرارها ومواطن القرب منها ساهين».

أما فيما يتعلق بالمباحث فنجده قد قسمها إلى خمسة:

المبحث الأول: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

المبحث الثاني: إقامة الصلاة.

المبحث الثالث: إيتاء الزكاة.

المبحث الرابع: صوم رمضان.

المبحث الخامس: حج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا

الخروبي في عرضه لتلك المباحث نجده يشرح ويحلل، ويوضح الفائدة التي من وراءها، والأهمية التي تجلبها تلك القاعدة للإنسان المسلم، فإذا أخذنا المبحث الثاني الذي تناول

إقامة الصلاة نجده يقول: قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[1] وكرر الله تعالى الأمر بإقامتها في مواضع من كتابه العزيز ليكون الاهتمام بإقامتها لا بوجودها، فما كل مصلٍّ مقيم وهذه القاعدة هي أساس الدين، وشعار المؤمنين، وبغية المتقين والمحبين، وقرّة عين العارفين، وأعظم أعمال العاملين، وإنما كانت الصلاة في هذه المرتبة[2]

وأصل كبير في باب القربة[3] لأنها رأس العبادات وجامعة لكثير من أنواع الطاعات القولية والفعلية والحالية. وفيها عبادة الظاهر والباطن، وتضمنت كثيرا من التوجيهات[4] وأنواعا من المعاملات والقربات فأولها تعظيم وآخرها تسليم، وبين هذين الموطنين عبادات كثيرة متنوعة قراءة ودعاء، وتنزيه وثناء، وتوحيد وتعظيم، وفيها خضوع وكذلك خشوع وتفكّر وتذكّر، وحضور وصلاة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفيها من المواطن المراقبة والمشاهدة، والمخاطبة والقرب، والمناجاة والمنازلات، والمحاضرة والمفاتحة.

قال ابن عطاء الله رضي الله تعالى عنها[5]: «الصلاة طهارة

---

(1) البقرة، 83 ـ 110. يونس 87. النور 56، المزمل 20.

(2) في (خ ع ر): الرتبة.

(3) في (خ ع ر): القرب.

(4) في (خ ع ر): التوجهات.

(5) **ابن عطاء الله، أحمد بن محمد، أبو الفضل تاج الدين: (ت 708هـ = 1309هـ)**: متصوف شاذلي، من العلماء. له الحكم العطائية ـ الوصايا =

القلوب، واستفتاح لباب الغيوب، والصلاة محل المناجاة ومعدن المصافاة تتسع فيها ميادن الأسرار وتشرق فيها شوارق الأنوار. انتهى».

وجميع ما ذكرناه من أنواع العبادات التي اشتملت عليها الصلاة كلها أبواب يدخل على الله منها فالمصلي داخل على الله من جميع هذه الأبواب، وسيره ليرد جميع الموارد ويشرب من كل المشارب ويتجلى الحق عليه بأنواع من التجليات ويشهد العبد ربه من جميع المشاهد. وسر وضع هذه العبادة العظيمة ليلتبس العباد في عالم الملك بما تلبّس به الملائكة في عالم الملكوت إذ منهم مسبحون لا يفترون، ومنهم قيام لا يلتفتون ومنهم ركّع لا ينحرفون، ومنهم سجّد لا يرفعون، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعاً: سبوح قدوس ما عبدناك حق عبادتك. فجمع الله لهذه الأمة العظيمة في عبادة واحدة في زمن قليل عبادات جميع الملائكة الكرام في عبادة الدهر كله، ولهذا كان من الكمال أن يكون العبد في جميع أقواله وأفعاله في صلاته ناوياً موافقة الملائكة الكرام في عباداتهم وليلاحظ التقصير وأنه ما قام بحقوق الربوبية وإذا كنت موافقاً لهم في الأفعال فليوافقهم أيضاً في أحوالهم الملكية فتكون أرضيّ الذات،

والعظات ـ لطائف المدن. ترجمته في: الدر الكامنة: 273 ـ الرحلة العياشية 1: 357، دائرة المعارف الإسلامية 1/ 2401 ـ معجم المطبوعات: 184.

سماوي الصفات، وهي رتبة الكمال. واعلم أيها العبد المصلي أن جميع ما في صلاتك من أقوال وأفعال، فكل قول وفعل أمر تعالى به بانفراده. فقال في التوجه إلى الصلاة: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[1] وقال في قيامك إليها وفيها: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾[2] وقال في التكبير: ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾[3] وقال في القراءة: ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾[4] وقال في الركوع والسجود: ﴿ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ﴾[5] وقال في الدعاء: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾[6] وقال في التهليل ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[7] الآية وجميع هذه المأمورات تضمنتها الصلاة فمن الكمال أن ينوي

---

(1) البقرة: 144. وبداية الآية: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾

(2) البقرة: 238. وبداية الآية: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾.

(3) الإسراء: 111. وبداية الآية: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾.

(4) المزمل: 20. وبقية الآية: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

(5) الحج: 77. وبقية الآية: ﴿وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

(6) الأعراف: 55. وبقية الآية: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾.

(7) محمد: 19. وبقية الآية: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾.

المصلي عند كل منها امتثال أمره تعالى، وبذلك يعظم الثواب إذ ليس من امتثل أمراً واحداً كمن امتثل أوامر وإنما هذا يتهيأ لأرباب القلوب الذين حالهم في صلاتهم الحضور.

ومن كمال أحوال العبد في صلاته تفهم القراءة واستحضار المعاني، فلا يأتي على آية إلا فهم معناها، وعمل بمقتضاها فإن دلّت على وعد صدّق ورغب، ووعيد صدّق ورهب. وأمر امتثل، ونهي انتهى، ووعظ اتعظ. وتذكُّر تذكَّر، وتفكُّر تفكَّر فيقابل كل آية بما اقتضاه الحق سبحانه منه، وعلى هذا الحال صلاة المقرّبين، واعلم أن الصلاة أنواع كما أن المصلين أقسام: فعوام المؤمنين صلاتهم بالأجساد وهي ذات ركوع وسجود، وخاصتهم صلاتهم بالأجساد والقلوب وهي ذات ركوع وسجود وإقبال وورود، وخاصة الخاصة صلاتهم بالأجساد والقلوب والأسرار وهي ذات ركوع وسجود وإقبال وورود ومخاطبة وشهود.

ولما كانت الصلاة اشتملت على هذه الأحوال العظيمة والمواطن الكريمة قال صلى الله عليه وسلم: «**جعلت قرّة عيني في الصلاة**»[1] وقال عليه السلام: «**أرحنا بها يا بلال**»[2] أي

---

(1) جزء من حديث رواه النسائي 7/ 61 في عشرة النساء، وإسناده حسن. ورواه أيضاً أحمد في «المسند» والحاكم والبيهقي وغيرهم.

(2) تقدم تخريج هذا الحديث.

أرح قلوبنا من نار الأشواق ببرد التلاق. ومن أسرار هذه العبادة أن جعل افتتاحها التكبير وسر ذلك تعظيم من توجهت أيها المصلي إليه بهذه العبادة العظيمة[1] فيصغر ويحتقر كل شيء عندك بالنسبة إلى كبريائه تعالى وعظمته، فتتوجه بوجه قلبك ووجه قالبك إليه وتقف بين يديه معظماً لجلاله، متهيئاً لعظمته وكبريائه، فتكون حاضراً مع ربك معرضاً بقلبك عن الأكوان، عارياً بسرك عن الأغيار. وهكذا كان حال نبينا صلى الله عليه وسلم في صلاته وقد تخلف القلب عن مساعدته وما أعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله عز وجل وعفوه. اهـ.

(وفي جميع أنفاسه)[2] وفي جميع أحواله فحاله عليه الصلاة والسلام الحضور والمراقبة، والمشاهدة والخشية، والخوف والتذلل، والخضوع والتفكر، والتذكر والقرب، والمناجاة وغير ذلك من الأحوال السنية، وهكذا كان أحوال الصحابة الكرام ومن تبعهم.

وها أنا أقص عليك أيها المصلي من أحوال[3] نبيك صلى الله عليه وسلم ومن تبعه عليها ما يحرك باطنك إلى الاقتداء بهم في أحوالهم في صلاتهم لتنتظم في سلوكهم وتحشر في

(1) العظيمة: سقطت من (خ ع ر).
(2) ما بين القوسين سقط برمته من (خ ع ر) ولابد منه.
(3) في (خ ع ر): حال.

زمرتهم، (كان صلى عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة يسمع لجوفه أزيز[1] كأزيز المرجل)[2] وكان الخليل[3] صلوات الله إذا تفكر في عظمة الله يسقط مغشياً عليه ويسمع وجيب قلبه من بعيد. وكان الصدِّيق[4] رضي الله عنه إذا قام يصلّي من شدة خشوعه وسكونه كأنه وتد مضروب ملزز، وكان يسمع لدموعه وقع كوقوع القطر. وكان عمر[5] رضي الله عنه إذا صلى يسمع من يكون في الصف نشيجه. وروي أن الطير كثيراً ما كانت تنزل على قلنسوته من كثرة سكونه وطمأنته في الصلاة. وكان

(1) أزيز سقطت (خ ع ر) ولابد منها.

(2) حديث رواه أبو داود رقم 904 في الصلاة، باب البكاء في الصلاة، والنسائي 3/ 13 في السهو باب البكاء في الصلاة ورواه أيضا أحمد في «المسند» 4/ 25 و 26 وهو حديث صحيح. عن عبد الله بن الزبير.

(3) **هو إبراهيم عليه السلام**: نبي الله أرسله الله إلى قومه الذين كانوا يعبدون الأصنام. ورد ذكره في القرآن الكريم في سور كثيرة. عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء ص: 70 ـ 96.

(4) **هو أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان (51 ق هـ ـ 13 هـ = 573 ـ 634 م)**: أول خلفاء الراشدين، وأول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من الرجال. له في الصحيحين 143 حديثا. رفيق العظم، أشهر مشاهير الإسلام. إبراهيم العبيدي، عهد التحقيق في بشائر آل الصديق. الشيخ الطنطاوي، أبو بكر الصديق.

(5) **عمر بن الخطاب (40 ق هـ ـ 32هـ = 584 ـ 644م)**: ثاني الخلفاء الراشدين. يضرب بعدله المثل. له في كتب الحديث 537 حديثاً. ابن الجوزي، عمر بن الخطاب. أبو نعيم الاصفهاني، حلية الأولياء، 1/ 38.

عثمان[1] رضي الله تعالى عنه كثير الخشوع في صلاته. وروي أنه كان يوتر بركعة واحدة يختم فيها القرآن. وكان علي[2] رضي الله عنه إذا سمع النداء يقول لبيك داعي الله، فإذا أخذ الماء للوضوء تغير لونه واَحمَرَّ واصفرَّ فيقال له في ذلك فيقول إنكم لا تدرون بين يدي من أريد أن أقف ولا ما أريد أن أعمل، إني أريد أن أودي أمانة عرضت على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها[3] ونقل عنه رضي الله عنه أنه ضرب بسهم فلم يقدروا على خلعه حتى كان في الصلاة فقلعوه ولم يشعر وقال مجاهد[4] كان عبد الله بن الزبير[5] إذا قام

(1) **عثمان بن عفان (47ق هـ ـ 35هـ = 577 ـ 656م)**: ثالث الخلفاء الراشدين، ذو النورين، وأحد المبشرين، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم 146 حديثاً. صادق عرجون، عثمان بن عفان. طه حسين، عثمان ابن عفان. ابن تيمية، منهاج السنة، 2/ 186.

(2) **علي بن أبي طالب (32ق هـ ـ 40هـ = 600 ـ 661م)**: رابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم 586 حديثاً. وجمعت خطبه وأقواله في كتاب نهج البلاغة. عبد الفتاح عبد المقصود، الإمام علي. العقاد، عبقرية الإمام. الطبري، تاريخ الأمم والملوك، 6: 83.

(3) يعني قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ الأحزاب، 72.

(4) **مجاهد بن جبر (21 ـ 104هـ = 642 ـ 742م)**: تابعي مفسر من أهل مكة. أخذ عن ابن عباس رضي الله عنه. له: «التفسير». الذهبي، ميزان الاعتدال 3/ 9. الشيرازي، طبقات الفقهاء ص: 45..

(5) **عبد الله بن الزبير بن العوام (1 ـ 73هـ = 622 ـ 692م)**: فارس قريش =

يصلي كأنه عود لا يتحرك منه شيء. وقال محمد[1]: لو رأيت ابن الزبير يصلي لقلت غصن شجرة تعصفها الرياح. وقال ابن أبي مليكة[2]: كان ابن الزبير يصلي بالناس فدخل سيل المسجد فما أنكر الناس شيئاً من صلاته حتى فرغ منها. وقال يحيى بن وثّاب[3]: إن ابن الزبير كان يسجد ويطيل السجود حتى تنزل العصافير على ظهره فما تحسبه إلا جرم حائط. وقيل إن عروة ابن الزبير[4] أصابته أكلة في إحدى رجليه فلما كان في الصلاة

في زمنه، وأول مولود في المدينة بعد الهجرة. شهد فتح إفريقية زمن عثمان، وبويع له بالخلافة سنة 64هـ بعد موت يزيد بن معاوية. له في الصحيحين 33 حديثا. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4 / 135. المقريزي، شذور العقود ص: 6.

(1) لعله يقصد **ابن الأشعث الكندي**، وهو من أصحاب مصعب بن الزبير، وله رواية للحديث عن عائشة. توفي سنة 67هـ = 686م. ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ت 850. عبد الرحمن الرازي، الجرح والتعديل 3/ 206.

(2) **ابن أبي مليكة عبد الله بن عبيد الله (ت 117هـ = 735م)**: قاض، من رجال الحديث الثقات. ولاّه ابن الزبير قضاء الطائف. ابن حجر العسقلاني، ج 5: 306. ابن قتيبة الدينوري ص: 209.

(3) **يحيى بن وثاب (ت 103هـ = 721م)**: إمام أهل الكوفة في القرآن. تابعي ثقة. قليل الحديث من أكابر القراء. النووي، تهذيب الأسماء واللغات، 2/ 159. ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، 11/ 294..

(4) **عروة بن الزبير (22 ـ 93هـ = 643 ـ 712م)**: أحد الفقهاء السبعة بالمدينة. وهو أخو عبد الله بن الزبير لأبيه وأمه. وبئر عروة بالمدينة منسوبة إليه. ابن خلكان، وفيات الأعيان، 1/ 316 أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، 2/ 176.

قطعوها، فلما سلّم رأى الناس حوله فقال لهم: ما لكم؟ فأخبروه بالأمر فقال لهم: والله ما شعرت بها ولكن شممت رائحة النار.

وكانوا قد كووه بعد قطعها. وقال عبيدة بن عثمان: من نظر إلى الأوزاعي[1] اكتفى بما يرى عليه من أثر العبادة كنت إذا رأيته قائماً يصلي كأنما ننظر إلى جسد ليس فيه روح، وكان عامر بن عبد الله[2] من الخاشعين كان إذا قام يصلي تضرب بناته بالدف، وتحدث النساء بما يؤدي[3] ولم يكن يسمع ذلك.

وقيل له ذات يوم: هل تحدث نفسك في الصلاة بشيء؟ قال: نعم بوقوفي بين يدي الله تعالى ومنصرفي إلى إحدى الدارين إما إلى جنة وإما إلى نار فقيل له: تجد شيئاً مما تجد من أمور الدنيا في الصلاة فقال: لأن تختلف الأسنة فيَّ أحب

(1) **الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو (88 ـ 157هـ = 707 ـ 774م)**: إمام الديار الشامية في الفقه والزهد، وأحد الكتاب المترسلين. له مصنفات منها: «السنن» في الفقه. و«المسائل». ويقدَّر ما سئل عنه بسبعين ألف مسألة أجاب عليها كلها. (محاسن الماعي في مناقب الإمام ابن عمرو الأوزاعي ـ ط) نشره الأمير شكيب أرسلان. النووي، تهذيب الأسماء واللغات، 1/ 275.

(2) **عامر بن عبد الله، المعروف بابن عبد قيس العنبري (ت نحو 55هـ = 675م)**: تابعي، من عبّاد البصرة. تلقن القرآن عن أبي موسى الأشعري حين قدم البصرة وعلم أهلها القرآن، فتخرج عليه في النسك والتعبد. أبو نعيم، حلية الأولياء، 2/ 87. ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، 5/ 77.

(3) في (خ ع ر): يردن.

إليَّ من أن أجد في الصلاة ما تجدون.

وكان مسلم بن يسار[1] من العاملين الزاهدين، وكان إذا دخل الصلاة يقول لأهله: تحدثوا بما تريدون وأفشوا سركم فإنّي لا أسمع إليكم. وكان ذات يوم يصلي في جامع البصرة[2] فوقعت خلفه اسطوانة معقود بناؤها على أربع طبقات فتسامع أهل السوق فدخلوا المسجد وهو يصلي كأنه وتد ما انفلت من صلاته فلما فرغ جاء الناس يهنونه فقال: على أي شيء؟ فقالوا: وقعت هذه الاسطوانة العظيمة وراءك وأنت تصلي قال: ما شعرت بها[3]

وكان ابن سيرين[4] إذا قام يصلي ذهب دم وجهه خوفا من الله سبحانه، وقال: منذ أربعين سنة إذا كنت في الصلاة لا أدري[5] من على يميني ولا من على شمالي. وكان أبو يوسف

(1) **مسلم بن يسار (ت 108هـ = 726م)**: فقيه ناسك، من رجال الحديث. أصله من مكة. سكن البصرة، فكان مفتيها. أبو نعيم الاصفهاني، حلية الأولياء، 2/ 290. ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب 10ح: 140.

(2) **البصرة**: مدينة بالجمهورية العراقية. تقع على الضفة اليمنى من شط العرب. تأسست في زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة 14هـ = 636م. فهي مركز ثقافي وتجاري هام. مؤنس: أطلس العالم.

(3) حلية الأولياء. لأبي نعيم الاصفهاني، 2/ 290. النبهاني، جامع كرامات الأولياء.

(4) **ابن سيرين محمد (33 ـ 110هـ = 653 ـ 729م)**: إمام وقته في علوم الدين بالبصرة. تابعي. اشتهر بالورع انظر ترجمته عند: ابن حجر العسقلاني تهذيب التهذيب، 9/ 214. أبو نعيم، حلية الأولياء، 2/ 263.

(5) في (خ ع ر): لا أعرف.

النحوي[1] إذا كان في الصلاة لا يشعر بشيء. فهذه أحوالهم رضي الله تعالى عنهم في صلاتهم. والحامل لهم على ذلك حضورهم مع الله وغيبتهم عما سواه مع مراعاتهم لما هم متلبسون به من الأحوال الكريمة والمواطن العظيمة التي تضمنتها الصلاة، وقد ذكرت لك قبل هذه الأحوال، وها أنا أذكر لك المواطن. فاعلم أن في الصلاة مواطن قرب:

الأول: موطن المواجهة. وذلك عند إقبالك إلى الصلاة.

الثاني: مواطن التوجه. وذلك عند استقبالك القبلة.

الثالث: مواطن التعظيم وذلك عند تكبيرة الإحرام.

الرابع: موطن المكالمة. وذلك عند القراءة.

وفي هذا الموطن مواطن: موطن ثناء على الله تعالى، وذلك عند قولك: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[2] وموطن إقرار بالألوهية، وذلك عند قولك ﴿لِلَّهِ﴾، وموطن إقرار بالربوبية وذلك عند قولك ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ومواطن إقرار له تعالى بأوصافه الكمالية، وذلك عند قولك ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وموطن إقرار بأنه ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[3] وذلك عند تلاوتك لهذه الآية. وموطن إقرار بالعبودية، وذلك عند قولك: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[4]،

(1) **أبو يوسف النحوي**. لم أهتد إلى ترجمته.
(2) الفاتحة: 2. وبقية الآية: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.
(3) الفاتحة: 4.
(4) الفاتحة: 5. وبقية الآية: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

وموطن إقرار بالعجز عن القيام بحقوق الربوبية وهو إقرار بوصف العبودية وذلك عند قولك: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. وموطن طلب ورغبة، وذلك عند قولك: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[1] إلى آخر السورة. وهذه المواطن منها ما هو خاص بالرب جل جلاله، ومنها ما هو للعبد فهي مواطن بين عبد ورب. وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى على لسان رسول صلى الله عليه وسلم: «**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي**»[2] فهذه ثمانية مواطن اشتمل عليها موطن المكالمة مع أربعة مواطن تقدمت فجملتها اثني عشر موطناً.

الثالث عشر موطن خضوع للباري تعالى. وذلك عند الركوع، وفيه موطن تنزيه وتعظيم لقوله عليه السلام: «**أما الركوع فعظموا فيه الرب**»[3] وهذا الموطن هو الرابع عشر.

الموطن الخامس عشر موطن إذلال وخضوع لله تعالى. وذلك عند السجود وأقرب ما يكون العبد إلى مولاه عز وجل في هذا الموطن، وذلك لبلوغ العبد فيه غاية التذلل والتواضع

(1) الفاتحة: 6.

(2) جزء من حديث طويل رواه مالك في الموطأ 1/84, و58 في الصلاة، باب القراءة خلف الإمام فيما لا يجهر فيه بالقراءة ومسلم رقم 395 في الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة. ورواه أيضاً أبو داود رقم 819 في الصلاة، الترمذي رقم 2954 في التفسير، والنسائي 2/135 في افتتاح عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(3) تقدم تخريج هذا الحديث.

لمولاه عز وجل حيث يضع أشرف أعضائه وهو الوجه على الأرض تذللاً وتواضعا لله عز وجل قال تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾[1] ومن الكمال أن العبد إذا سجد ينوي في سجوده أن جميع أعضائه وأجزائه ساجدة لله تعالى وإلى هذا الإشارة بما كان صلى الله عليه وسلم يقول في سجوده: «**خشع سمعي وبصري ودمي ولحمي وعظمي وعصبي وما استقلت عليه قدمي لله رب العالمين**»[2] وينوي في ركوعه أيضاً خضوعه جميع أعضائه وأجزائه لله تعالى، وإلى هذا الإشارة بقوله عليه السلام في ركوعه: «**خشع سمعي وبصري ومخي وعظمي**»[3] وفي هذا الموطن موطن طلب وذلك بحسب ما توجهت إليه همة الطالب وإنما كان هذا الموطن موطن طلب لقوله صلى الله عليه وسلم: «**أكثروا فيه**[4] **ـ أي في السجود ـ من الدعاء فقمن يستجاب لكم**». وكذلك التنزيه مشروع فيه لقوله صلى الله عليه

(1) العلق: 19. وبداية الآية: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾.

(2) جزء من حديث رواه النسائي 2/ 192 و 193 في الافتتاح باب نوع آخر من الدعاء في الركوع وإسناده صحيح عن حمدة بن مسلمة رضي الله عنه.

(3) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه رقم (881) في صلاة المسافرين باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، عن علي رضي الله عنه. ورواه أيضا الترمذي وأبو داود والنسائي كلهم في الصلاة.

(4) جزء من حديث رواه مسلم في الصلاة رقم 489 باب فضل السجود والحث عليه، وأبو داود رقم 1320 في الصلاة، والنسائي 2/ 277، عن أبي الدرداء وثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وسلم حين أنزل عليه ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[1]: «**اجعلوها في سجودكم**»[2] وهذا الموطن هو السادس عشر ثم أربعة مواطن هي كمال العشرين موطنا وهي مواطن تعظيم وذلك عند تكبير الركوع والرفع منه والسجود. وسر تكرير التكبير في الصلاة وتعمير أركانها به يتجدد على النفس معناه في كل ركن فكلما ضعف معنى التكبير في النفس قواه ذلك فيستقر في الباطن معناه فلا يزال العبد في صلاته معظماً لربه مقبلاً عليه معرضاً عما سواه.

الموطن الحادي والعشرون: عند الرفع من الركوع وهو موطن ثناء وإيجاب وذلك عند قولك سمع الله لمن حمده، (ربنا ولك الحمد)[3]

الموطن الثاني والعشرون: بين السجدتين، وهو موطن طلب إذ ورد أن يقول المصلي بين السجدتين: (رب اغفر لي

(1) الأعلى: 1.

(2) جزء من حديث رواه مسلم في الصلاة رقم 869 «باب التسبيح في الركوع والسجود»، والدرامي 1/ 299 في الصلاة. وهو حديث عن عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(3) جزء من حديث رواه الترمذي رقم 266، في الصلاة، باب ما يقول الرجل إذا رفع رأسه من الركوع ويقول حديث حسن عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه. رواه أيضا مسلم من حديث عبد الله بن أبي أوفى رقم 476 في الصلاة.

وارحمني وعافني واهدني وارزقني)[1] وهذا الموطن[2] تضمن موطن إقرار بالربوبية وهو الموطن الثالث والعشرون.

فقد اجتمع لك أيها المصلي في كل ركعة من صلاتك ثلاثة وعشرون موطناً من مواطن القرب، والصبح ركعتان فيها ستة وأربعون موطناً، والظهر أربع ركعات فيها اثنان وتسعون موطناً والعصر كذلك والعشاء الأخيرة كذلك، والمغرب ثلاث ركعات فيها تسعة وستون موطناً. وضف إلى ذلك المواطن التي تضمنتها الجلسات الأواخر من الصلوات الخمس والجلوس الوسط من الرباعيات والثلاثية، فكل جلوس تضمن مواطن أربعة: موطن تعظيم عند تكبيرة الجلوس، وموطن إيجاب كامل العبادات لله تعالى وذلك عند قولك: التحيات لله إلى آخره، وموطن إقرار له[3] بالوحدانية ولرسوله صلى الله عليه وسلم بالرسالة وذلك عند قولك: أشهد أن لا إله إلا الله إلى آخره، وموطن تحية للرسول صلى الله عليه وسلم ولعباد الله الصالحين. والجلسات تسع اضربها في أربعة الخارج منها ستة وثلاثون موطناً. فمجموع المواطن المشتملة عليها الصلوات

---

(1) جزء من حديث رواه أبو داود رقم 850 في الصلاة، باب الدعاء في السجدتين، والترمذي رقم 274 في الصلاة، وابن ماجه رقم 898 في الصلاة، ورواه أيضا الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وهو حديث حسن، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(2) موطن: سقطت من (خ ع ر).

(3) في (خ ع ر): الله.

الخمس أربعمائة موطن وسبعة وعشرون موطناً. وإذا اعتبرت ما في صلاة الفجر والشفع والوتر (من المواطن على الاعتبار المذكور في الصلوات وجدتها تتضمن مائة وخمسة عشر موطناً، وفي كل جلوس من الفجر والشفع والوتر أربعة المواطن)[1]، فالمجموع اثني عشر ضفها إلى (المائة والخمسة عشر تكون مائة وسبعة وعشرون)[2] ضفها إلى الأربعمائة والسبعة والعشرين فيجتمع من ذلك كله خمسمائة موطن وأربعة وخمسون، وهي مواطن قربك في صلاة يومك وليلتك. وما تزيده من النوافل والرغائب على ذلك في دورتك يزاد لك من المواطن بحسب ذلك على الاعتبار المذكور.

وفي قراءتك التي مع القرآن بحسب ما تضمنته آيات السورة من المعاني ولم أذكرها لأنها غير معينة. وقد بينت لك أيها المصلي ما اشتملت عليه الصلوات من مواطن القرب والوصل. لتعلم قدر هذه العبادة العظيمة، وتنتبه لأسرار العبادات الشرعية والأعمال الدينية. فيحملك ذلك على الصحبة لها، والنهوض إليها، والتحفظ عليها، والاحتفال والتهيىء لها بطهارة الظاهر والباطن، وتكون مراعياً لأوقاتها، فرحا بها، مقبلا عليها، رافضاً للأغيار في حال تلبسك بها، مستشعراً أنك بين يدي الملك الجبار قيوم السماوات والأرض في حضرة قربك ومشاهدته على بساط مكالمته فهناك لا تبتغي بها بدلاً ولا

(1) ما بين القوسين سقط من (خ ع ر) ولابد منه.

(2) ما بين القوسين سقط من (خ ع ر). ولابد منه.

عنها حولاً وقد كنت قبل أن كشف الله إلي أسرار الصلاة ولم أتيقظ إلى ما تضمنته من مواطن القرب أريد تخفيفها تارة لعارض فاسمع خطابا يقال لي: إلى أين تريد[1]، أتجد أنيسا خيرا مني أم تبتغي حولا عني، أحب قربك فلا تبتغي بعدي، وأحب وصلك فلا تنقطع عني، أنا جليسك فلا تستبدلني بغيري، وأنا أنيسك فلا تركن لغيري، ويحك من عرفني أغنيته عن غيري، ومن اكتفى بي لم أتركه لأحد من خلقي، عرفتك بي من قبل أن تعرفني، (فلولا أنا لما عرفتني فما كنت لك قبل أن تعرفني)[2] فكن لي بعد أن عرفتني، أريد أن أختص بك دون غيري غيرة مني عليك، وأريد أن أستعملك لخدمتي فضلاً مني عليك، فما أحببتني حتى أحببتك، ولا عرفتني حتى عرفتك ولا خدمتني حتى استخدمتك، تعاليت وتعاظمت أن يدخل عليّ إلا بإذني ويحك أما أن ترضى أن استعبدك وأستعبد كل شيء إليك. فإذا كنت لي عبداً فلا يسود شيء عليك خلقت كل شيء لأجلك وخلقتك لأجلي، رفعت شأنك على غيرك فلا ترفع شأن غيرك عليك، بإقبالك عليه، وشرَّفتك على غيرك فلا تشرف غيرك عليك بإذلالك إليه، فكن لي كما أنا لك، وارض بي كما رضيتك، واستعمل نفسك فيما أرضى أعطك ما ترضى، وإلا وعزتي وجلالي لأعرض عنك حتى لا يقبل شيء عليك ولأقطعنك عني حتى لا يعود ضرر ذلك إلا عليك، أنت

(1) في (خ ع ر): تزيد.
(2) في (خ ع ر): واملك.

عبد النعم ومظهر الكرم فلا تكن عبد النقم، لم أرض شيئاً من أكواني غير قلبك أن يكون محلا لأسراري شيء أردت أن أختص به فلا تملكه لأحد غيري، روحك عندي وقلبك بيدي إن لم تستلم لي أسلمك لغيري يتصرف فيك بتصرف جلالي وقهري، أنت أنت وأنا أنا فتعرف إليّ بأوصاف العبودية أتعرف إليك بأوصاف الربوبية. ويحك هل تجد إلاهاً غيري أم تجد مثوى في غيري مملكتي؟ خلقت العالم بقدرتي، وأتقنته بعلمي وحكمتي لتستدل بذلك (على وجودي وعظمتي لئلا تعصيني إياك ومعصيتي فما عظمني من عصاني، وما عرفني من نساني وإلى هنا انتهى بنا الكلام)[1] في هذه القاعدة وفقنا الله للقيام بحقوق الربوبية ورزقنا حسن الأدب فيما نحاول من الأعمال الشرعية بمنّه وكرمه».

---

(1) ما بين القوسين زيادة من (خ ع ر).

مصادر الكتاب عند الخروبي

إضافة إلى القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة نجد الخروبي قد اعتمد في تقديم أفكاره على مصادر نذكر منها: الحكم العطائية، حلية الأولياء للأصفهاني، المسائل والسنن في الفقه للأوزاعي، تعبير الرؤيا لابن سيرين.

الصفحة الأولى من مخطوطة مزيل اللبس المخطوطة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1860د

[illegible]

[illegible]

[illegible] الرجال وانتصف في سلك أهل الكمال [illegible]

[illegible]

[illegible] وهو حسبنا ونعم الوكيل

[illegible] ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم [illegible]

النبي الكريم وعلى آله وصحبه [illegible] إلى يوم الدين [illegible]

الصفحة الأخيرة من مخطوطة مزيل اللبس المخطوطة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1860د

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

يقول عبد الله سبحانه محمد بن علي الخروبي ثم الطرابلسي سامحه الله تعالى

الحمد لله الذي نور أسرار العارفين بأنوار معرفته وطهر لهم أسرار
العبادات. وأحيا قلوبهم بما يسر إليها من أنوار المشاهدات.
من بساط المكالمة في حضرة المراجعة فبانت لهم لطائف الحكم التي
هي منة بأنواع المعاملات. وأيقظ أرواحهم من سنة الغفلة فتنبهت
إلى استنشاق روائح القرب التي انطوت عليها ضروب التوجهات
فهم أبدا في حال تلبسهم بالأعمال الشرعية والوظائف الدينية في حضرة
الحق جالسون. من بساط القرب بين محاضرة ومكالمة ومخاطبة ومسا
رة يسمعون. فهم عند الخطاب [illegible] يلبيه الجواب. فهم بذلك
عن غيب مشهوده ومحبوب وجوده. أحمده وأشكره على ما به أنعم وأولاه.
والصلاة والسلام الأتمان على سيدنا ومولانا محمد نبيه الكريم
والعجم. ورضي الله عن آله وأصحابه وأزواجه وذريته وأمته أفضل الأمم.
وبعد فلما كانت القواعد الخمس هي أصول الدين وأساس أعمال المكلفين
وشعار المؤمنين وجب معرفة أحكامها المصححة لها. وذلك لتمييز
الأداء بها المكلف لها. واستحضار سرائر القرب منها عند التلبس بها.
وتحصيل ذلك والعمل بمقتضاه يترقى العبد إلى أعلى منازل الإيمان وأرفع
مراتب الإحسان. ويدخل به في زمرة خواص المؤمنين وينتظم في سلك عباد
الله المقربين. وما انطوى في ذلك من سر [illegible] العارفين. أحببت أن أذكر
في كتابنا هذا الآداب المكملة لقواعد الدين. وما انطوت عليه
من سرائر القرب ومنازل الوصول ومراتب التمكين [illegible]

الأعمال

الصفحة الأولى من مخطوطة مزيل اللبس المخطوطة بالخزانة خاصة بفاس

مستقبلا بهما بصدرك من الأقوال والأفعال والأحوال إذا توجهت
إلى بلدك وعزمت على [illegible] إلى تلك [illegible] معلنا [illegible]
[illegible] ولا تنزل منزلا حتى [illegible] فإذا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الرجال [illegible] من [illegible] الكمال [illegible]
[illegible] والله [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] العظيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه
وسلم تسليما إلى يوم الدين [illegible] والحمد لله وكفى وسلام على عباده
الذين اصطفى وافق [illegible] صبح ثاني عام [illegible] والله [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

كتاب أسرار الحج ومهماته ومواقف المناسك من إحياء علوم
الدين للإمام أبي حامد الغزالي الشافعي رضي الله عنه ونفعنا به

الحمد لله الذي جعل كلمة التوحيد لعباده حرزا وحصنا وجعل
البيت العتيق مثابة للناس وأمنا وأكرمه بالنسبة إلى نفسه تشريفا
وتحصينا ومنا وجعل زيارته والطواف به حجابا بين العبد و
بين العذاب ومجنا والصلاة على سيدنا محمد نبي الرحمة وسيد الأمة
وعلى آله وصحبه قادة الحق وسادة الخلق وسلم تسليما

الصفحة الأخيرة من مخطوطة مزيل اللبس المخطوطة بالخزانة خاصة بفاس

متن المخطوطة

المقدمـة

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم
ويقول[1] عبد الله سبحانه محمد بن
علي الخروبي الطرابلسي سامحه الله تعالى.

الحمد لله الذي نور أسرار العارفين بأنوار فظهرت لهم أسرار العبادات وأحيا قلوبهم بما سرى إليها من أسرار المشاهدات[2] على بساط المثالة في حضرة المواجهة فبانت لهم ألطاف الحكم المودعة في أنواع المعاملات، وأيقظ أرواحهم من سنة الغفلة، فتنبهت إلى استحضار مواطن القرب التي انطوت عليها التوجهات فهم أبداً في حال تلبسهم بالأعمال الشرعية والوظائف الدينية في حضرة الحق، جالسون على بساط القرب في محاضرة ومكالمة، ومخاطبة ومساررة، يسمعون به منه الخطاب ويردون به عليه الجواب فهم بذلك غيب في شهود

---

(1) في (خ ع ر): قال الشيخ الإمام العالم سيدي محمد بن الشيخ العالم سيدي علي الخروبي ثم الطرابلسي رحمه الله ونفعنا به آمين.

(2) في (خ ع ر) المشاهدة. في (خ ع ر): ألطاف.

ومحو في وجود، أحمده وأشكره على ما به أنعم، وله ألهم والصلاة والسلام الدائمان على سيدنا ومولانا محمد سيد العرب والعجم، ورضي الله عن آله وأصحابه وأزواجه وذريته وأمته أفضل الأمم.

[أهمية الكتاب]

وبعد، فلما كانت القواعد الخمس هي أصول الدين وأساس أعمال المكلفين وشعار المؤمنين فوجب معرفة أحكامها المصححة لها، وتأكد تمييز آدابها المكملة لها، واستحضار مواطن القرب منها عند التلبس بها، وبتحصيل ذلك والعمل بمقتضاه يترقى العبد إلى أعلا منازل الإيمان وأرفع مراتب الإحسان، ويدخل في دائرة خواص المؤمنين وينتظم في سلك عباد الله المقربين، وبالترقي في ذلك يرسم في ديوان العارفين.

والغرض أن نذكر في كتابنا هذا الآداب المكملة لقواعد الدين وما انطوت عليه من مواطن القرب ومنازل[1] ومراتب التمكين، وبذلك تعرف أسرار الأعمال الشرعية والحكم التي اشتملت عليها الوظائف السليمة[2] إذ تحت كل ذرة منها درّة وفي كل قول أو فعل منها سر لطيف قلّ من يعرف قدره، ولم أتكلف في هذا الكتاب[3] ذكر الأحكام المصححة للقواعد

(1) في (خ ع ر): الوصل.
(2) في (خ ع ر): الدينية.
(3) ما بين القوسين سقط من (خ ع ر) ولابد منه.

الخمس لأن ساداتنا الفقهاء تكلفوا ذلك وذكروه في تآليفهم، ورسموه في تصانيفهم، فعلى المكلف أن ينظرها هنالك، ويقف على ذلك ولا يشتغل بتحصيل الآداب المكملة إلا بعد تحصيل الأحكام المصححة والقيام بها على أتم وجوهها وإلا كان كطالب الربح قبل حصول رأس المال، وسميت كتابنا هذا «مزيل اللبس عن آداب وأسرار القواعد الخمس».

[دوافع تأليف الكتاب]

والحامل لي على وضع هذا الكتاب أني رأيت عامة المؤمنين عن آداب القواعد الخمس معرضين وخاصتهم عن أسرارها ومواطن القرب منها ساهين. فرأيت أن أنبه الجميع لذلك توفية لحقوق الأخوة الإيمانية، وليلاحظوا ذلك عند[1] تلبسهم بالعبادات الشرعية وقيامهم بالآداب الدينية. والله أسأل أن ينفع به من سعى في تحصيله وأن يوفق الجميع إلى السلوك على سبيله بمنّه وفضله.

[قواعد الإسلام وأركانه]

القاعدة الأولى: شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله. اعلم أن هذه القاعدة هي أصل الأصول الدينية، وقاعدة القواعد الشرعية ولها أحكام مصححة، وآداب مكملة، فيلزم المكلف أن ينطق بها على وجه الوجوب مرة في عمره،

---

(1) في (خ ع ر): حين.

وأن يأتي بها على الوجه المطلوب فمن ذلك مواطات القلب على ما نطق به اللسان وبذلك يكون مستمسكا بالعروة ويلج باب الوصول ويدخل[1] الحمى ويصير من أهل الصفا، ويجلس على بساط القرب. وتنشر عليه أعلام المحبة، ويكسى حلة التخصيص، ويتوج بتاج القرب، وينتظم في سلك الأمة المحمدية التي هي خير أمة أخرجت للناس. وإذ قد صدقت بوجدانية الله تعالى ورسالة رسوله صلى الله عليه وسلم، فمن الواجب أن تضم[2] إلى تصديقك بوحدانية ذاته ووحدانيته في صفاته وأفعاله، فكون شهادتك شاملة لذلك كله وكما صدّقت برسالة محمد صلى الله عليه وسلم تضم إلى ذلك تصديقك بجميع ما أخبر به عن ربه الذي أرسله وهذا كله واجب الاعتقاد ومن مكملات هذه الكلمة الشريفة تجديدها عندما يرد على الباطن من الأسباب الموهنة للإيمان المضعفة لليقين، إذ قد يرد على العبد من ذلك في بعض الأوقات من الوسواس ما يوهن إيمانه ويضعف يقينه، فإذا لم يتدارك العبد ذلك بما يقوي إيمانه ويقينه كان حاله في انتقاص وأمره في انتكاص[3]، وقد استحسن تجديد الإيمان صباحاً ومساءً ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾[4] ومن الكمال أن يجعل العبد المؤمن شهادته لله بالوحدانية تبعاً لشهادته تعالى

(1) في (خ ع ر): الوصل.
(2) في (خ ع ر): ترد.
(3) في (خ ع ر): انتكام.
(4) النور الآية: 35.

ولشهادة الملائكة وأولي العلم، ولا زال العبد يكرر هذه الكلمة الشريفة إلى أن يشرق في باطنه أنوارها وتظهر عليه أسرارها ويسري من ذلك النور من باطن العبد إلى ظاهر ما يحركه إلى الأعمال الشرعية والوظائف الدينية فيكون باطنه مشرقا بنور اليقين وظاهره مشغولا بوظائف الدين ولا تزال الأنوار الإيمانية تترادف، والأعمال الدينية تتكاثر وتتضاعف إلى أن يصل العبد إلى مقام يشهد فيه الحق شهوداً يقوم مقام العيان، ويتحقق في باطنه معنى ما نطق به اللسان، ويعرف الحق معرفة تغنيه عن الدليل والبرهان. وهذه أول مرتبة من مراتب الإحسان، وهو أحد أركان الدين التي تضمنها سؤال جبريل[1] عليه السلام حين سأل نبينا صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإحسان، فالإسلام[2] بداية، والإيمان[3] توسط، والإحسان[4] نهاية. وهذه المقامات الثلاث بعضها نتائج، فالإيمان نتيجة الإسلام، والإحسان نتيجة الإيمان، وأصل هذه كلها وعنصر ينابيعها كلمة الشهادة التي هي قاعدة الدين، فالتحقيق بمعناها في الباطن

---

(1) ملك روحه الأمين الذي أرسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم. والحديث رواه مسلم في الإسلام عن عمر بن الخطاب.

(2) الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة، وتوتي الزكاة وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا.

(3) الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره.

(4) الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

يحمل المتحقق به إلى الترقي في هذه المراتب والبلوغ إلى غاياتها، وقد أشرنا فيما مر إلى كيفية الترقي من حال إلى حال أعلا منه، ومن رتبة حالية إلى رتبة أعلا ولا سبيل إلى الترقي من مقام إلى ما فوقه إلا بعد توفية حقوق المقام المترقى منه والقيام بأحكامه المصححة ثم الآداب المكملة، ومراعاة مواطن القرب منها وكلما حسنت البداية حسنت النهاية ومن أشرقت بدايته أشرقت نهايته. ومن الآداب أن لا يتناول نفيك عند النطق بحرف النفي إلا ما ادعاه المشركون من الألوهية سوى الله تعالى وليكن الحق جل جلاله ثابتاً عندك في حالة النفي والإثبات وإلى هذا المعنى أشار بعض العلماء حيث قال: النفي لمن يستحيل كونه، والإثبات لمن يستحيل عدمه. أيقظ الله قلوبنا لأسرار قواعد الدين وأشرق في بواطننا نور اليقين، وسلك بنا مسلك أهل[1] القرب والعارفين بسنه وفضله.

القاعدة الثانية: هي إقامة الصلاة. قال الله تعالى: ﴿أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[2] وكرر الله تعالى الأمر بإقامتها في مواضع من كتابه العزيز ليكون الاهتمام بإقامتها لا بوجودها، فما كل مصلٍ مقيم وهذه القاعدة هي أساس الدين، وشعار المؤمنين، وبغية المتقين والمحبين، وقرّة عين العارفين، وأعظم أعمال

(1) أهل: سقطت من (خ ع ر).
(2) البقرة الآية: 83 ـ 111، يونس الآية: 87، النور الآية، 56، المزمل الآية: 20.

العاملين، وإنما كانت الصلاة في هذه المرتبة[1] وأصل كبير في باب القربة[2] لأنها رأس العبادات وجامعة لكثير من أنواع الطاعات القولية والفعلية والحالية. وفيها عبادة الظاهر والباطن، وتضمنت كثيرا من التوجيهات[3] وأنواعا من المعاملات والقربات فأولها تعظيم وآخرها تسليم، وبين هذين الموطنين عبادات كثيرة متنوعة قراءة ودعاء، وتنزيه وثناء، وتوحيد وتعظيم، وفيها خضوع وكذلك خشوع وتفكّر وتذكّر، وحضور وصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفيها من المواطن المراقبة والمشاهدة، والمخاطبة والقرب، والمناجاة والمنازلات، والمحاضرة والمفاتحة.

قال ابن عطاء الله رضي الله تعالى عنه[4]: الصلاة طهارة القلوب، واستفتاح لباب الغيوب، والصلاة محل المناجاة ومعدن المصافاة تتسع فيها ميادن الأسرار وتشرق فيها شوارق الأنوار. انتهى.

وجميع ما ذكرناه من أنواع العبادات التي اشتملت عليها الصلاة كلها أبواب يدخل على الله منها فالمصلي داخل على الله من جميع هذه الأبواب، وسره ليرد جميع الموارد ويشرب من

---

(1) في (خ ع ر): الرتبة.
(2) في (خ ع ر): القرب.
(3) في (خ ع ر): التوجهات.
(4) سبقت ترجمته.

كل المشارب ويتجلى الحق عليه بأنواع من التجليات ويشهد العبد ربه من جميع المشاهد. وسر وضع هذه العبادة العظيمة ليلتبس العباد في عالم الملك بما تلبّس به الملائكة في عالم الملكوت إذ منهم مسبحون لا يفترون، ومنهم قيام لا يلتفتون ومنهم ركَّع لا ينحرفون، ومنهم سجد لا يرفعون، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعاً سبوح قدوس ما عبدناك حق عبادتك. فجمع الله لهذه الأمة العظيمة في عبادة واحدة في زمن قليل عبادات جميع الملائكة الكرام في عبادة الدهر كله، ولهذا كان من الكمال إن يكون العبد في جميع أقواله وأفعاله في صلاته ناوياً موافقة الملائكة الكرام في عباداتهم وليلاحظ التقصير وأنه ما قام بحقوق الربوبية وإذا كنت موافقاً لهم في الأفعال فوافقهم أيضاً في أحوالهم الملكية فتكون أرضي الذات، سماوي الصفات، وهي رتبة الكمال. وأعلم أيها العبد المصلي أن جميع ما في صلاتك من أقوال وأفعال، فكل قول وفعل أمر تعالى به بانفراده. فقال في التوجه إلى الصلاة: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ﴾[1] وقال في قيامك إليها وفيها: ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾[2] وقال في التكبير ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾[3] وقال في القراءة: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُۚ﴾[4] وقال في الركوع والسجود:

---

(1) البقرة الآية: 144.
(2) البقرة الآية: 238.
(3) الإسراء الآية: 111.
(4) المزمل الآية: 20.

﴿ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ﴾[1] وقال في الدعاء: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾[2] وقال في التهليل: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[3] الآية. وجميع هذه المأمورات تضمنتها الصلاة فمن الكمال أن ينوي المصلي عند كلٍّ منها امتثال أمره تعالى، وبذلك يعظم الثواب إذ ليس من امتثل أوامر كمن امتثل أمراً واحداً وإنما هذا يتهيأ لأرباب القلوب الذين حالهم في صلاتهم الحضور.

ومن كمال أحوال العبد في صلاته تفهم القراءة واستحضار المعاني، فلا يأتي على آية إلا فهم معناها، وعمل بمقتضاها فإن دلّت على وعد، صدَّق ورغب، ووعيد، صدق ورهب. وأمر امتثل، ونهي انتهى، ووعظ اتعظ، وتذكُّرٍ تذكَّر، وتفكُّر تفكَّر فيقابل كل آية بما اقتضاه الحق سبحانه منه، وعلى هذا الحال صلاة المقرّبين، واعلم أن الصلاة أنواع كما ان المصلين أقسام: فعوام المؤمنين صلاتهم بالأجساد وهي ذات ركوع وسجود، وخاصتهم صلاتهم بالأجساد والقلوب وهي ذات ركوع وسجود وإقبال وورود، وخاصة الخاصة صلاتهم بالأجساد والقلوب والأسرار وهي ذات ركوع وسجود وإقبال وورود ومخاطبة وشهود.

ولما كانت الصلاة اشتملت على هذه الأحوال العظيمة

---

(1) البقرة الآية: 43.

(2) الأعراف الآية: 55.

(3) محمد الآية: 19.

والمواطن الكريمة قال صلى الله عليه وسلم: **«جعلت قرة عيني في الصلاة»**[1] وقال عليه السلام: **«أرحنا بها يا بلال»**. أي أرح قلوبنا من نار الأشواق ببرد التلاق. ومن أسرار هذه العبادة أن جعل افتتاحها التكبير وسر ذلك تعظيم من توجهت أيها المصلي إليه بهذه العبادة العظيمة[2] فيصغر ويحتقر كل شيء عندك بالنسبة إلى كبريائه تعالى وعظمته، فتتوجه بوجه قلبك ووجه قالبك إليه وتقف بين يديه معظماً لجلاله، متهيئاً لعظمته وكبريائه، فتكون حاضراً مع ربك معرضاً بقلبك عن الأكوان، عارياً بسرك عن الأغيار. وهكذا كان حال نبينا صلى الله عليه وسلم في صلاته وقد تخلف القلب عن مساعدته وما أعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله عز وجل وعفوه اهـ.

(وفي جميع أنفاسه)[3] وفي جميع أحواله فحاله عليه الصلاة والسلام الحضور والمراقبة، والمشاهدة والخشية، والخوف والتذلل، والخضوع والتفكر، والتذكر والقرب، والمناجاة وغير ذلك من الأحوال السنية، وهكذا كان أحوال الصحابة الكرام ومن تبعهم.

---

(1) جزء من حديث رواه النسائي 7/ 61 في عشرة النساء، وإسناده حسن. ورواه أيضاً أحمد في «المسند» والحاكم والبيهقي وغيرهم.

(2) العظيمة: سقطت من (خ ع ر).

(3) ما بين القوسين سقط برمته من (خ ع ر) ولابد منه.

وها أنا أقص عليك أيها المصلي من أحوال[1] نبيك صلى الله عليه وسلم ومن تبعه عليها ما يحرك باطنك إلى الاقتداء بهم في أحوالهم في صلاتهم لتنتظم في سلوكهم وتحشر في زمرتهم، كان صلى غليه وسلم إذا قام إلى الصلاة يسمع لجوفه أزيز[2] كأزيز المرجل[3] وكان الخليل[4] صلوات الله إذا تفكر في عظمة الله يسقط مغشياً عليه ويسمع وجيب قلبه من بعيد. وكان الصدّيق[5] رضي الله عنه إذا قام يصلى من شدة خشوعه وسكونه كأنه وتد مضروب ملزز، وكان يسمع لدموعه وقع كوقوع القطر. وكان عمر[6] رضي الله عنه إذا صلى يسمع من

---

(1) في (خ ع ر): حال.

(2) أزيز سقطت (خ ع ر) ولا بد منها.

(3) حديث رواه أبو داود رقم 904 في الصلاة، باب البكاء في الصلاة، والنسائي 3/ 13 في السهو باب البكاء في الصلاة ورواه أيضا أحمد في «المسند» 4/ 25 و 26 وهو حديث صحيح. عن عبد الله بن الزبير.

(4) **هو إبراهيم عليه السلام**. نبي الله أرسله الله إلى قومه الذين كانوا يعبدون الأصنام. ورد ذكره في القرآن الكريم في سور كثيرة. انظر عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء ص: 70 ـ 96.

(5) **هو أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان (51ق هـ ـ 13هـ = 573 ـ 634م)**: أول خلفاء الراشدين، وأول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من الرجال. له في الصحيحين 143 حديثا. انظر رفيق العظم، أشهر مشاهير الإسلام. إبراهيم العبيدي، عهد التحقيق في بشائر آل الصدبق. الشيخ الطنطاوي، أبو بكر الصديق.

(6) **عمر بن الخطاب (40ق هـ ـ 32هـ = 584 ـ 644م)**: ثاني الخلفاء الراشدين. يضرب بعدله المثل. له في كتب الحديث 537 حديثاً.

يكون في الصف نشيجه. وروي أن الطير كثيراً ما كانت تنزل على قلنسوته من كثرة سكونه وطمأنته في الصلاة. وكان عثمان[1] رضي الله تعالى عنه كثير الخشوع في صلاته. وروي أنه كان يوتر بركعة واحدة يختم فيها القرآن. وكان علي[2] رضي الله عنه إذا سمع النداء يقول لبيك داعي الله، فإذا أخذ الماء للوضوء تغير لونه واحمر واصفر فيقال له في ذلك فيقول إنكم لا تدرون بين يدي من أريد أن أقف ولا ما أريد أن أعمل، إني أريد أن أودي أمانة عرضت على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها[3] ونقل عنه رضي الله عنه أنه ضرب بسهم فلم يقدروا على خلعه حتى كان في الصلاة فقلعوه

انظر ابن الجوزي، عمر بن الخطاب. أبو نعيم الاصفهاني، حلية الأولياء، ج 1 38.

(1) **عثمان بن عفان (47ق هـ ـ 35هـ = 577 ـ 656م)**: ثالث الخلفاء الراشدين، ذو النورين، وأحد المبشرين، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم 146 حديثاً. انظر صادق عرجون، عثمان بن عفان. طه حسين، عثمان بن عفان. ابن تيمية، منهاج السنة، ج 2: 186.

(2) **علي بن أبي طالب (32ق هـ ـ 40هـ = 600 ـ 661م)**: رابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم 586 حديثاً. وجمعت خطبه وأقواله في كتاب نهج البلاغة. انظر عبد الفتاح عبد المقصود، الإمام علي. العقاد، عبقرية الإمام. الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 6: 83.

(3) يعني قوله تعالى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب، 72).

ولـم يشعر. وقال مجاهد[1] كان عبد الله بن الزبير[2] إذا قام يصلي كأنه عود لا يتحرك منه شيء. وقال محمد[3]: لو رأيت ابن الزبير يصلي لقلت غصن شجرة تعصفها الرياح. وقال ابن أبي مليكة[4] كان ابن الزبير يصلي بالناس فدخل سيل المسجد فما أنكر الناس شيئاً من صلاته حتى فرغ منها. وقال يحيى بن وثاب[5]: إن ابن الزبير كان يسجد ويطيل السجود حتى تنزل العصافير على ظهره فما تحسبه إلا جرم حائط. وقيل إن عروة ابن الزبير[6] أصابته أكلة في إحدى رجليه فلما كان في الصلاة

---

(1) **مجاهد بن جبر (21 ـ 104هـ = 642 ـ 742م)**: تابعي مفسر من أهل مكة. أخذ عن ابن عباس رضي الله عنه. له: «التفسير». انظر الذهبي، ميزان الاعتدال ج 3: 9. الشيرازي، طبقات الفقهاء ص: 45..

(2) **عبد الله بن الزبير بن العوام (1هـ 73هـ = 622 ـ 692م)**: فارس قريش في زمنه، وأول مولود في المدينة بعد الهجرة. شهد فتح إفريقية زمن عثمان، وبويع له بالخلافة سنة 64هـ بعد موت يزيد بن معاوية. له في الصحيحين 33 حديثا انظر ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 4: 135. المقريزي، شذور العقود ص: 6.

(3) محمد. لم أهتد إلى ترجمته.

(4) **ابن أبي مليكة عبد الله بن عبيد الله (ت 117هـ = 735م)**: قاض، من رجال الحديث الثقات. ولاة ابن الزبير قضاء الطائف. انظر ابن حجر العسقلاني، ج 5: 306. ابن قتيبة الدينوري ص: 209.

(5) **يحيى بن وثاب (ت 103هـ = 721م)**: إمام أهل الكوفة في القرآن. تابعي ثقة. قليل الحديث من أكابر القراء. انظر النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج 2: 159. ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج 11: 294..

(6) **عروة بن الزبير (22 ـ 93هـ = 643 ـ 712م)**: أحد الفقهاء السبعة =

قطعوها، فلما سلم رأى الناس حوله فقال لهم: ما لكم؟ فأخبروه بالأمر فقال لهم: والله ما شعرت بها ولكن شممت رائحة النار. وكانوا قد كووه بعد قطعها. وقال عبيدة بن عثمان[1]: من نظر إلى الأوزاعي[2] اكتفى بما يرى عليه من أثر العبادة كنت إذا رأيته قائماً يصلي كأنما ننظر إلى جسد ليس فيه روح، وكان عامر بن عبد الله[3] من الخاشعين كان إذا قام يصلي تضرب بناته بالدف، وتحدث النساء بما يؤذي[4] ولم يكن يسمع ذلك.

بالمدينة. وهو أخو عبد الله بن الزبير لأبيه وأمه. وبئر عروة بالمدينة منسوبة إليه. انظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج: 316 أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ج 2: 176.

(1) عبيدة بن عثمان. لم أهتد إلى ترجمته.

(2) **الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو (88 ـ 157هـ = 707 ـ 774م)**: إمام الديار الشامية في الفقه والزهد، وأحد الكتاب المترسلين. له مصنفات منها: «السنن» في الفقه. و«المسائل». ويقدر ما سئل عنه بسبعين ألف مسألة أجاب عليها كلها. انظر (محاسن الماعي في مناقب الإمام ابن عمرو الأوزاعي ـ ط) نشره الأمير شكيب أرسلان النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج 1: 275.

(3) **عامر بن عبد الله**، المعروف بابن عبد قيس العنبري (ت نحو 55هـ = 675م): تابعي، من عبّاد البصرة. تلقن القرآن من أبي موسى الأشعري حين قدم البصرة وعلم أهلها القرآن، فتخرج عليه في النسك والتعبد. انظر أبو نعيم، حلية الأولياء، ج 2: 87. ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج 5: 77.

(4) في (خ ع ر): يردن.

وقيل له ذات يوم هل تحدث نفسك في الصلاة بشيء؟ قال: نعم بوقوفي بين يدي الله تعالى ومنصرفي إلى إحدى الدارين إما إلى جنة وإما إلى نار فقيل له: تجد شيئاً مما تجد من أمور الدينا في الصلاة فقال: لأن تختلف الأسنة فيَّ أحب إليَّ أن أجد في الصلاة ما تجدون.

وكان مسلم بن يسار[1] من العاملين الزاهدين، وكان إذا دخل الصلاة يقول لأهله: تحدثوا بما تريدون وأفشوا سركم فإني لا أسمع إليكم. وكان ذات يوم يصلي في جامع البصرة[2] فوقعت خلفه اسطوانة معقود بناؤها على أربع طبقات فتسامع أهل السوق فدخلوا المسجد وهو يصلي كأنه وتد ما انفلت من صلاته فلما فرغ جاء الناس يهنونه فقال: على أي شيء؟ فقالوا: وقعت هذه الاسطوانة العظيمة وراءك وأنت تصلي، قال: ما شعرت بها[3]

(1) **مسلم بن يسار (ت 108هـ = 726م)**: فقيه ناسك، من رجال الحديث. أصله من مكة. سكن البصرة، فكان مفتيها. انظر أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج 2: 290. ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب 10ح: 140.

(2) **البصرة**: مدينة بالجمهورية العراقية. تقع على الضفة اليمنى من شط العرب. تأسست في زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة 14هـ = 636م. فهي مركز ثقافي وتجاري هام. انظر مؤنس: أطلس العالم.

(3) انظر حلية الأولياء. لأبي نعيم الاصفهاني، ج 2: 290. النبهاني، جامع كرامات الأولياء.

وكان ابن سيرين[1] إذا قام يصلي ذهب دم وجهه خوفا من الله سبحانه، وقال: منذ أربعين سنة إذا كنت في الصلاة لا أدري[2] من على يميني ولا من على شمالي. وكان أبو يوسف النحوي[3] إذا كان في الصلاة لا يشعر بشيء. فهذه أحوالهم رضي الله تعالى عنهم في صلاتهم. والحامل لهم على ذلك حضورهم مع الله وغيبتهم عما سواه مع مراعاتهم لما هم متلبسون به من الأحوال الكريمة والمواطن العظيمة التي تضمنتها الصلاة، وقد ذكرت لك قبل هذه الأحوال، وها أنا أذكر لك المواطن. فاعلم أن في الصلاة مواطن قرب:

الأول: موطن المواجهة. وذلك عند إقبالك إلى الصلاة.

الثاني: مواطن التوجه. وذلك عند استقبالك إلى القبلة.

الثالث: مواطن التعظيم وذلك عند تكبيرة الإحرام.

الرابع: موطن المكالمة. وذلك عند القراءة.

وفي هذه المواطن مواطن: موطن ثناء على الله تعالى، وذلك عند قولك ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[4] ومواطن إقرار بالألوهية،

---

(1) **ابن سيرين محمد (33 ـ 110هـ = 653 ـ 729م)**: إمام وقته في علوم الدين بالبصرة. تابعي. اشتهر بالورع انظر ابن حجر العسقلاني تهذيب التهذيب، ج 9: 214. أبو نعيم، حلية الأولياء، ج 2: 263.

(2) في (خ ع ر): لا أعرف.

(3) أبو يوسف النحوي. لم أهتد إلى ترجمته.

(4) الفاتحة الآية: 2.

وذلك عند قولك ﴿لِلَّهِ﴾، وموطن إقرار بالربوبية وذلك عند قولك ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ومواطن إقرار له تعالى بأوصافه الكمالية، وذلك عند قولك ا﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وموطن إقرار بأنه ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[1] وذلك عند تلاوتك لهذه الآية. وموطن إقرار بالعبودية، وذلك عند قولك ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[2]، وموطن إقرار بالعجز عن القيام بحقوق الربوبية وهو إقرار بوصف العبودية وذلك عند قولك ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وموطن طلب ورغبة، وذلك عند قولك ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[3] إلى آخر السورة. وهذه المواطن منها ما هو خاص بالرب جل جلاله، ومنها ما هو للعبد فهي مواطن بين عبد ورب. وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى على لسان رسول صلى الله عليه وسلم: «**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي**»[4] فهذه ثمانية مواطن اشتمل عليها موطن المكالمة مع أربعة مواطن تقدمت فجملتها اثني عشر موطناً.

---

(1) الفاتحة الآية: 4.

(2) الفاتحة الآية: 5.

(3) الفاتحة الآية: 6.

(4) جزء من حديث طويل رواه مالك في الموطأ 1/ 84, و58 في الصلاة، باب القراءة خلف الإمام فيما لا يجهر فيه بالقراءة ومسلم رقم 395 في الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة. ورواه أيضاً أبو داود رقم 819 في الصلاة، الترمذي رقم 2954 في التفسير، والنسائي 2/ 135 في افتتاح عن أبى هريرة رضي الله عنه.

الثالث عشر موطن خضوع للباري تعالى. وذلك عند الركوع، وفيه موطن تنزيه وتعظيم لقوله عليه السلام: «**أما الركوع فعظموا فيه الرب**». وهذا الموطن هو الرابع عشر.

الموطن الخامس عشر موطن إذلال وخضوع لله تعالى. وذلك عند السجود وأقرب ما يكون العبد إلى مولاه عز وجل في هذا الموطن، وذلك لبلوغ العبد فيه غاية التذلل والتواضع لمولاه عز وجل حيث يضع أشرف أعضائه وهو الوجه على الأرض تذللاً وتواضعا لله عز وجل قال تعالى: ﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب﴾[1] ومن الكمال أن العبد إذا سجد ينوي في سجوده أن جميع أعضائه وأجزائه ساجدة لله تعالى وإلى هذا الإشارة بما كان صلى الله عليه وسلم يقول في سجوده: «**خشع سمعي وبصري ودمي ولحمي وعظمي وعصبي وما استقلت عليه قدمي لله رب العالمين**»[2] وينوي في ركوعه أيضاً خضوعه جميع أعضائه وأجزائه لله تعالى، وإلى هذا الإشارة بقوله عليه السلام في ركوعه: «**خشع سمعي وبصري ومخي وعظمي**»[3] وفي

---

(1) العلق الآية: 19.

(2) جزء من حديث رواه النسائي 2/192 و 193 في الافتتاح باب نوع آخر من الدعاء في الركوع وإسناده صحيح عن حمده بن مسلمة رضي الله عنه.

(3) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه رقم (881) في صلاة المسافرين باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، عن علي رضي الله عنه. وراوه أيضا الترمذي وأبو داود والنسائي كلهم في الصلاة.

هذا الموطن موطن طلب وذلك بحسب ما توجهت إليه همة الطالب وإنما كان هذا الموطن موطن لقوله صلى الله عليه وسلم: «**أكثروا فيه**[1] **ـ أي في السجود ـ من الدعاء فقمن يستجاب لكم**». وكذلك التنزيه مشروع فيه لقوله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[2] «**اجعلوها في سجودكم**»[3] وهذا الموطن هو السادس عشر ثم أربعة مواطن هي كمال العشرين موطنا وهي مواطن تعظيم وذلك عند تكبير الركوع والرفع منه والسجود. وسر تكرير التكبير في الصلاة وتعمير أركانها به يتجدد على النفس معناه في كل ركن فكلما ضعف كان معنى التكبير في النفس قواه ذلك فيستقر في الباطن معناه فلا يزال العبد في صلاته معظماً لربه مقبلاً عليه معرضاً عما سواه.

الموطن الحادي والعشرون: عند الرفع من الركوع وهو موطن ثناء وإيجاب وذلك عند قولك سمع الله لمن حمده، (ربنا ولك الحمد)[4] الموطن الثاني والعشرون: بين السجدتين،

---

(1) جزء من حديث رواه مسلم في الصلاة رقم 489 باب فضل السجود والحث عليه، وأبو داود رقم 1320 في الصلاة، والنسائي 2/ 277، عن ابن الدرداء وثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(2) الأعلى الآية: 1.

(3) جزء من حديث رواه مسلم في الصلاة رقم 869 «باب التسبيح في الركوع والسجود»، والدرامي 1/ 299 في الصلاة. وهو حديث عن عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(4) جزء من حديث رواه الترمذي رقم 266، في الصلاة، باب ما يقول =

وهو موطن طلب إذ ورد أن يقول المصلي بين السجدتين: «**رب اغفر لي وارحمني وعافني واهدني وارزقني**»[1] وهذا الموطن[2] تضمن موطن إقرار بالربوبية وهو الموطن الثالث والعشرون.

فقد اجتمع لك أيها المصلي في كل ركعة من صلاتك ثلاثة وعشرون موطناً من مواطن القرب، والصبح ركعتان فيها ستة وأربعون موطناً، والظهر أربع ركعات فيها اثنان وتسعون موطناً والعصر كذلك والعشاء الأخيرة كذلك، والمغرب ثلاث ركعات فيها تسعة وستون موطناً. وضف إلى ذلك المواطن التي تضمنتها الجلسات الأواخر من الصلوات الخمس والجلوس الوسط من الرباعيات والثلاثية، فكل جلوس تضمن مواطن أربعة: موطن تعظيم عند تكبيرة الجلوس، وموطن إيجاب كامل العبادات لله تعالى وذلك عند قولك التحيات لله إلى آخره، وموطن إقرار له[3] بالوحدانية ولرسوله صلى الله عليه وسلم

الرجل إذا رفع رأسه من الركوع ويقول حديث حسن عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. رواه أيضا مسلم من حديث عبد الله بن أبي أوفى رقم 476 في الصلاة.

(1) جزء من حديث رواه أبو داود رقم 850 في الصلاة، باب الدعاء في السجدتين، والترمذي رقم 274 في الصلاة، وابن ماجه رقم 898 في الصلاة، ورواه أيضا الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وهو حديث حسن، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(2) موطن: سقطت من (خ ع ر).

(3) في (خ ع ر): الله.

بالرسالة وذلك عند قولك أشهد أن لا إله إلا الله إلى آخره، وموطن تحية للرسول صلى الله عليه وسلم ولعباد الله الصالحين. والجلسات تسع اضربها في أربعة الخارج منها ستة وثلاثون موطناً. فمجموع المواطن المشتملة عليها الصلوات الخمس أربعمائة موطن وسبعة وعشرون موطناً. وإذا اعتبرت ما في صلاة الفجر والشفع والوتر (من المواطن على الاعتبار المذكور في الصلوات وجدتها تتضمن مائة وخمسة عشر موطناً، وفي كل جلوس من الفجر والشفع والوتر أربعة مواطن)[1]، فالمجموع اثني عشر ضفها إلى (المائة والخمسة عشر تكون مائة وسبعة وعشرون)[2] ضفها إلى الأربعمائة والسبعة والعشرين فيجتمع من ذلك كله خمسمائة موطن وأربعة وخمسون، وهي مواطن قربك في صلاة يومك وليلتك. وما تزيده من النوافل والرغائب على ذلك في دورتك يزاد لك من المواطن بحسب ذلك على الاعتبار المذكور.

وفي قراءتك التي مع القرآن بحسب ما تضمنته آيات السورة من المعاني ولم أذكرها لأنها غير معينة. وقد بينت لك أيها المصلي ما اشتملت عليه الصلوات من مواطن القرب والوصل. لتعلم قدر هذه العبادة العظيمة، وتنتبه لأسرار العبادات الشرعية والأعمال الدينية. فيحملك ذلك **على الصحبة لها**، والنهوض

(1) ما بين القوسين سقط من (خ ع ر) ولابد منه.

(2) ما بين القوسين سقط من (خ ع ر). ولابد منه.

إليها، والتحفظ عليها، والاحتفال والتهيىء لها بطهارة الظاهر والباطن، وتكون مراعياً لأوقاتها، فرحا بها، مقبلا عليها، رافضاً للأغيار في حال تلبّسك بها، مستشعراً أنك بين يدي الملك الجبار قيوم السماوات والأرض في حضرة قربك ومشاهدته على بساط مكالمته فهناك لا تبتغي بها بدلاً ولا عنها حولاً وقد كنت قبل أن كشف الله إلي أسرار الصلاة ولم أتيقظ إلى ما تضمنته من مواطن القرب أريد تخفيفها تارة لعارض فاسمع خطابا، يقال لي إلى أين تريد[1]، أتجد أنيسا خيرا مني أم تبتغي حولا عني، أحب قربك فلا تبتغِ بعدي، وأحب وصلك[2] فلا تنقطع عني، أنا جليسك فلا تستبدلني بغيري، وأنا أنيسك فلا تركن لغيري، ويحك من عرفني أغنيته عن غيري، ومن اكتفى بي لم أتركه لأحد من خلقي، عرفتك بي من قبل أن تعرفني، (فلولا أنا لما عرفتني فما كنت لك قبل أن تعرفني)[3] فكن لي بعد أن عرفتني، أريد أن أختص بك دون غيري غيرة مني عليك، وأريد أن أستعملك لخدمتي فضلاً مني عليك، فما أحببتني حتى أحببتك، ولا عرفتني حتى عرفتك ولا خدمتني حتى استخدمتك، تعاليت وتعاظمت أن يدخل عليّ إلا بإذني ويحك أما أن ترضى أن استعبدك وأستعبد كل شيء إليك. فإذا كنت لي عبداً فلا يسود شيء عليك خلقت كل شيء لأجلك وخلقتك لأجلي، رفعت

(1) في (خ ع ر): تزيد.
(2) في (خ ع ر): واملك.
(3) ما بين القوسين زيادة من (خ ع ر).

شأنك على غيرك فلا ترفع شأن غيرك عليك، بإقبالك عليه، وشرفتك على غيرك فلا تشرف غيرك بإذلالك إليه، فكن لي كما أنا لك، وارض بي كما رضيتك، واستعمل نفسك فيما أرضى أعطك ما ترضى، وإلا وعزتي وجلالي لأعرض عنك حتى لا يقبل شيء عليك ولأقطعنك عني حتى لا يعود ضرر ذلك إلا عليك، أنت عبد النعم ومظهر الكرم فلا تكن عبد النقم، لم أرض شيئاً من أكواني غير قلبك أن يكون محلا لأسراري شيء أردت أن أختص به فلا تملك لأحد غيري، روحك عندي وقلبك بيدي إن لم تستسلم لي أسلمك لغيري يتصرف فيك بتصرف جلالي وقهري، أنت أنت وأنا أنا أفتعرف إليّ بأوصاف العبودية أتعرف إليك بأوصاف الربوبية. ويحك هل تجد إلهاً غيري أم تجد مثوى في غير مملكتي؟ خلقت العالم بقدرتي، وأتقنته بعلمي وحكمتي لتستدل بذلك (على وجودي وعظمتي لئلا تعصيني إياك ومعصيتي فما عظمني من عصاني، وما عرفني من نساني وإلى هنا انتهى بنا الكلام)[1] في هذه القاعدة وفقنا الله للقيام بحقوق الربوبية ورزقنا حسن الأدب فيما نحاول من الأعمال الشرعية بمنّه وكرمه.

القاعدة الثالثة: الزكاة. قال تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[2] وهذه القاعدة من أعظم قواعد الدين، ومن شعار المؤمنين،

---

(1) ما بين القوسين سقط من (خ ع ر) برمته ولا بد منه.

(2) البقرة الآية: 277.

ولها أحكام مصححة وآداب مكملة، وهي المراد هنا إذ الأحكام تولى بيانها فقهاء الدين وعلماء المسلمين، فمن آدابها إخراجها عن طيب نفس، وانشراح صدر، وصحة عقد، ناوياً امتثال أمر الله، مبتغياً مرضاته، معتقداً حسن تدبير المولى جل جلاله لخلقه، إذ هو تدبير صدر عن عليم حكيم، ودود رحيم، متحقق العدل في تقدير مقاديرها، وصرفها في محالها، إذ المقدر لها عدل حكيم عليم خبير (قال بعض أهل البصائر من العلماء: لو أُعطيت الحقوق المفروضة في أموال الأغنياء لمستحقيها على الوجوه التي أمر الله تعالى بها لما وُجِد على وجه الأرض محتاج.

ومن آدابها أن لا يرى المعطي لنفسه منزلة في إخراج زكاة ماله وإعطائه لأهله لأنه أعطى حقاً واجباً وفعل فعلا لازماً، وكذلك الآخذ لا يرى مزية للمعطي إلا من حيث رعي الوسائط التي أذن به الشرع ومن آدابها أن يصرفها آخذها في ضرورات نفسه وعياله مما لابد منه، غير مترفه بها أو ينفقها فيما لا يحل له. ومن آدابها أن لا يكلف المعطي الأخذ بأمر منه قضاء حاجة ونحو ذلك ليتمحص العمل ويتخلص الإخلاص. ومن آدابها النهوض لإعطائها كما ينهض أن لو كان آخذاً لها طيب النفس، راضيا بالحكم، متيقناً الخلف. وهذا من الأسباب المُعينة على إخراجها وبذلها لأهلها.

ومن مكارم الأخلاق إظهار البشر للفقراء عند الإعطاء، والملاطفة لهم وإزالة الخجل عنهم، وتقوية رجائهم في الله أن

﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[1] ومن مكارم الأخلاق أن يعطي المعطي له منها من لم يصل إليه منها نصيب. ومن مكارم الأخلاق تركها لمن هو أحوج إليها منه. ومن التقوى وعلو الهمة تنبيه المعطي لذلك وسرها طهارة الأموال وتنميتها وابتلاء الأغنياء هل يشكرون ويؤدون حق الله كما ابتلى الفقراء هل يصبرون ويرجون فضل الله. ومن أسرارها التعاطف والتوادد والتراحم، وأن يجري على الأغنياء من آثار فضله وأن يظهر فيهم بمعنى اسمه الغني والمعطي كما ظهر على الفقراء بمعنى اسمه الرحيم حيث رحمهم بما أوصل إليهم على أيدي خليقته. وعلى المؤمن أن يرى ما بيده من الأموال عارية وهو فيها بمنزلة الوكيل على مال سيده ينتظر العزل في كل ساعة، وليكن العبد ملاحظاً لهذه الأسرار محافظاً على هذه الآداب.

وليكن في عمله جارياً على الطريق القويم والصراط المستقيم، والله سبحانه الموفق لصالح الأعمال بمنّه وفضله.

القاعدة الرابعة: صيام شهر رمضان. قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[2] الآية. وهذه القاعدة لها موقع في الدين كبير، وموضعها منه شهير، جعلها الله مخمدة للنفوس، مزكيّة للأرواح، مُنورة للقلوب وهي من

(1) الطلاق الآية 7.

(2) البقرة الآية: 185.

شعائر المؤمنين وأعمال المتقين وسره ليتخلق العباد المؤمنون بمعنى اسمه الصمد. والصوم عند محققي الصوفية الذين تنبهوا لأسرار العبادات ثلاثة أقسام:

الأول: صوم عامة المؤمنين. وهو الإمساك عن الأكل والشرب وعن الجماع ومقدماته. ومقصود هؤلاء ما وعد الله الصائمين من الثواب، فليحذروا الموانع لحصول مقاصدهم وليجتنبوا أسباب ذلك.

الثاني: صوم الخاصة. الأول مع حبس النفس عن حظوظها وهواها ونيل لذاتها المنقصة لها شرعاً وقصر الجوارح عن أفعال المخالفات، فأسماعهم وأبصارهم وأيديهم وأرجلهم وألسنتهم محبوسة عما نهوا عنه شرعاً. وهؤلاء قصدوا ما قصده الأولون وزيادة ملاحظة العبودية.

الثالث: صوم خاصة الخاصة، الأولان مع صيام السر عما سوى الله تعالى، وهذا هو الصوم الكامل الذي اجتمع فيه عمل الظاهر والباطن وقد علمت أن لا أثر لأعمال[1] الظاهر إذا لم يتابعه الباطن وأهل هذا المقام لهم مقاصد عالية، وهمم سامية، أرادوا حسن القيام بالوظائف الشرعية مع طهارة النفس من الأوصاف المانعة لها من القرب إلى الله تعالى، والوصول إلى رضاه، والدخول في حضرة قدسه والجلوس على بساط

(1) في (خ ع ر): العمل.

مشاهدته. وللصوم آداب مكملة فمنها استعمال سننه كتعجيل الإفطار وتأخير السحور بشرط أن لا تحمل المعدة أكثر من حقها بأن يتعدى في الأكل والشرب حد القدر الشرعي، فإن هذه مما تمنع ثمرة الصوم الذي هو قهر النفس ورياضتها، وتغليب الروحانية على الجسمانية، ليكون الحكم للروح دون النفس، فتتصرف النفس بمقتضى الحكم الروحانية والنظر العلمي والتصرف الملكي وهذا من أسرار الصوم وفوائده، ومن آداب الصوم التخلق بأخلاق الملكية والاتّصاف بأوصاف الروحانية فليكن العبد في هذه الرتبة فاعلا للمأمورات، تاركاً للمنهيات فلا يقرب منهياً، ولا يترك أمراً، رافعا همته من جميع ما يقدم في كماله وإن كان العبد مطالبا بهذا في كل وقت لكن يتأكد عليه ذلك في شهر رمضان وتلبسه بهذه العبادة العظيمة فيه إذا الأزمنة يفضل بعضها بعضا كالأمكنة فيطالب العبد في الفاضل منها بما لا يطالب به في المفضول، وإن كان الأمر يطالب به في زمان فيتأكد في الفاضل منها. ومن آدابه العزلة والانفراد صيانة للنفس، وتفرغاً لما يغني من مخالطة الأضداد والخوض فيما لا يعني. ومن آدابه استعمال الجهد[1] في تخليص القوت وتجنب ما يوهن العمل ويعيبه ويتأكد إحياء ليالي شهر رمضان سيما العشر الأواخر منها ويجتهد في أن يصيب ليلة القدر. والاعتكاف مرغب فيه، وبالله سبحانه والتوفيق.

---

(1) في (خ ع ر): الجهر وهو خطا.

القاعدة الخامسة: الحج إلى بيت الله الحرام. قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[1] وهذه القاعدة من أشراف قواعد الدين وأسناها وأكمل أصوله وأفضلها وأعلاها وهي من الأعمال الدينية والتكاليف الشرعية، ولها أحكام مُصَححة وآداب مُكَمّلة. فإذا وفى العبد بأحكامها وأتى بها على أتم الوجوه وأكملها. قيل له: الآن تطالب بالآداب المكملة لعملك الرافعة[2] له عن التساوي بأعمال مثلك. فمن آداب هذه القاعدة تحسين النية عند إرادة القصد لها والتوجه إليها من منزله لقضاء فرضه ناوياً إجابة الداعي وتلبية المنادي، ولا يترك واجبا إلا فعله ولا تباعة إلا قضاها، ولا علاقة مانعة[3] له أو تلفته بعد خروجه من مكانه إلى خلفه إلا قطعها ليتمحض القصد، وتتخلص الوجهة، ويصح التوجه، وإن تعلق به من يطالبه الشرع بالقيام وفى[4] له بحقوقه. فإذا قضى تلك الواجبات، وبرئ من تلك التباعات وصح إذن الشرع له بالتوجه إلى تأدية فرضه خرج من منزله بنية تأديته فيكون الشرع هو المخرج له فيكون هذا خارجاً بربّه لربه لا عن هوى وحظ نفس فيكون حينئذ خرج بنفسه لهواه. ومن آدابه أن ينظر في

---

(1) آل عمران: 97.

(2) في (خ ع ر): الدافعة.

(3) في (خ ع ر): مناعة.

(4) في (خ ع ر): مكان (وفي) بياض.

حال سفره، وفي وجه مسيره أن يكون مع رفقة صالحة وإخوان مرضيين ينهضه إلى الطاعة حالهم، ويدله على الله مقالهم، إن نسي ذكّروه، وإن مرض صانوه، وإن عجز أعانوه، وفي الحضور والغيبة حفظوه[1] ويسيرون بسيره، ويقيمون لإقامته لعذر، يوافقونه في كل أمر رشيد، ويسعفونه في كل رأي سديد لا يؤاخذون بالزلة، ولا يفعلون أمر العلة وليكن هذا المتوجه لبيت الله الحرام مقيماً بفرضه[2] موفياً بنفله، مراعيا لأوقاته، ضابطاً لأنفاسه، قائما بوظائفه، حافظاً لمروءته، صبوراً على شدائد السفر موطناً نفسه عليها، متجنباً موارد الندم القادح في إخلاص توجهه إلى هذه العبادة العظيمة وقدومه على الأماكن الشريفة. ولا يفارق في سفره لباس التقوى وسربال العز، غير مدنس لهما بأوساخ الطمع وذلته، فالتقوى زاده، والورع حرفته، والطاعة وطنه، والاستقامة حاله.

وليكن اعتماده على ربه عاملاً على فضله، متوكلاً عليه في جميع أموره، ولا يسكن إلى ما في يده من الأسباب فضلا عما في يد غيره. فليكن سالكاً على هذا المنهج[3] القويم والصراط المستقيم إلى ان يبلغ إلى ميقاته، فليأخذ حينئذ في تهيئة اشتغاله وترتيب أفعاله، عالماً أنه أراد التلبس بعبادة عظيمة

---

(1) في (خ ع ر): يحفظونه.
(2) في (خ ع ر): بفروضه.
(3) في (خ ع ر): النهج.

اجتمعت[1] على أسرار كريمة ومواطن قرب شريفة.

فأول المواطن: الطهارة تهيئة للورود[2] على بلد كريم وبيت عظيم. فإذا بلغ ميقاته فأدبه استعمال الفطرة، ثم يغتسل ويتجرد من مخيط الثياب، وأصله الاقتداء، وسره أن يكون علامة على تجرد الباطن من الأخلاق الذميمة ثم يلبس إزاراً أو رداءً. وسره التحلي بحلية التقوى في باطنه إذ بين الظاهر والباطن علاقة تقضي تأثير أحدهما في الآخر. (ودلالته عليه، وهذا الموطن فيه تخل وتحل ثم يأتي إلى موضع الذلّة ويصلي ركعتي الإحرام)[3]، وإن اتفقت صلاة فريضة، أجزأت ثم ينصرف من مصلاه قاصداً البلد المبارك، محرماً بقلبه، ملبياً بلسانه وسره، إجابة الداعي، وتلبية المنادي، وذلك يشير إلى الانقياد لأوامر الرب مع ما تضمنه لفظ التلبية من المعاني الدالة على التعظيم والتوحيد وغير ذلك من الألفاظ المتعبد بها. ولفظ التلبية معلوم ويجددها كلما صعد مرتفعاً وانخفض منسفلاً وخلف الصلوت، وعند سماع الملبين. وسر تكريرها عند هذه الحوادث التزام معناها عند تقلب الأحوال. وأدبه في سيره إلى مكة المشرفة أن يكون بسكينة ووقار، وتواضع وخشية، عالماً أنه قادم على بلد كريم، وبيت عظيم ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن

---

(1) في (خ ع ر): الورود.

(2) في (خ ع ر): اشتملت.

(3) ما بين القوسين زيادة من (خ ع ر).

دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ﴾[1] موطن خير خلق الله ومأوى رسول الله وأوليائه. فإذا أراد الدخول فآدابه أن يكون من الباب الذي شرع له أن يدخل منه وليقدّم رجله اليمنى، فإذا دخل قصد الحجر الأسود فيستلمه أن قدر وإلا لمسه بيده، ثم يضعها على فيه من غير تقبيل. وسره التماس الآثار ولو في الأحجار.

قال المحب[2]:

أجوز على الديار ديار ليلى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

ما حبّ الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

ثم يطوف البيت. وسره التشبه بالملائكة الحافين حول العرش. وأدبه أن يجعله على يساره، وأصله الاقتداء، وسره والله أعلم ليلبي القلب لأنه في يسار الجسد، ويفعل في طوافه ما يفعله الحاج من سنة الطواف. وهذا موطن ترداد المحب في منازل حبيبه. فإذا تم طوافه ركع ركعتين والأفضل أن يركعها في المقام، وأصلهما الاقتداء، وسرهما الترقي من عبادة بسيطة إلى عبادة مركبة، إذ كلما تركبت العبادات زادت معانيها ثم يأتي الصفا فيصعد عليه. وآدابه استقبال القبلة في الوقوف عليه، فإذا نزل يخب بين الميلين الأخضرين أصله الاقتداء. فإذا جاء المروة فعل ما فعله في الصفا والأصل في ذلك كله الاقتداء ففي جميع أفعاله لا تفارقه نية الاقتداء، وملاحظة الامتثال واستشعار

(1) آل عمران الآية: 96 ـ 97.

(2) لم أعثر على قائله.

الكمال في كل من الأقوال والأفعال، ثم يفعل فيما بقي من أفعال الحج ما يفعله الحاج جارياً في ذلك على سنة الحج وطريقته. وإن نوى عمرة مع حجة فعل ما يفعله المقرن، وليحافظ على الواجبات والسنن والمندوبات، فلا يخل بشيء من ذلك، ولا يترك الآداب المكملة. والموطن الأعظم والفعل الأكبر الوقوف بعرفة، فيفعل فيه ما يفعله الحاج من سنة الوقوف، لا يخل بشيء من فروضه ولا يترك سنة ومن سننه ومندوباته. ومن آدابه فراغ القلب من كل شاغل وخلو السر من كل فان زائل، إذ هو موطن من مواطن الآخرة، وليكثر فيه من ذكر الله والدعاء. ولا يفارق الخوف والخشية، والسكينة والوقار، والذلة والافتقار، والحياء من الملك الجبار، وأصل هذا الوقوف الاقتداء، وسره استشعار الوقوف بين يدي الله تعالى يوم العرض عليه، وهو موطن وقوف العبد فيه في مركز العبودية، متصف فيه بأوصافها، وتجلى الرب فيه بأوصاف الربوبية، و للحاج موقف آخر وهو وقوفه بالمشعر الحرام فآدابه استقبال القبلة، ليكون المشعر عن يساره، وهو موطن ثناء على الله عز وجل، وصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعاء إلى الأسفار، ثم ليسرع في وادي محسر ويأتي منى، فإذا طلعت الشمس رمى جمرة العقبة على سنة الرمي وأصله اقتداء بأبينا إبراهيم عليه السلام[1] (ثم من بعده من الرسل عليهم

(1) سبقت ترجمته.

الصلاة والسلام وسره معلوم. ومن مواطن الحج العظيمة موطن النحر وأصله الاقتداء بخليل الرحمن عليه الصلاة والسلام ثم من بعده من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام)[1] وأدبه استعمال السنة فيه وبه. وسره أولا الابتلاء، وثمرته الامتثال لما أمر به المولى ولو كان فيه إتلاف النفس مع طاعة الوالدين وفاء بحقهما، وانقياداً لأمرهما عن طيب نفس، وانشراح صدر، وصفاء قلب من فاعل الأمر والمفعول به، فليستشعر الذابح ذلك، وليلاحظ فيه أصله وسره وثمرته. وأخذ أهل التصوف منه ذبح النفس بسيف الشرع في موطن الحق، وفي الحج مواطن غير التي ذكرنا وما ذكرناه هو معظمها فيلاحظ الحاج عند كل موطن سره وفائدته، إذ العبادات الشرعية لا تخلو عن سر أو عن أسرار. وعلى العبد أن يوفي بالأحكام المصححة، والآداب المكملة. فإذا تم حجه، وكمل فعله، وأدى فرضه على ما ذكرناه من الوجوه كان حجه مبروراً وسعيه مشكوراً، وجزاؤه موفوراً، وإياك ثم إياك أن تهمل زيارة قبر نبيك صلى الله عليه وسلم، والتمتع بجواره، والوقوف بتلك الأماكن الشرعية، مساقط وحي الله، ومهبط روحه الأمين على رسوله الكريم. ففي الزيارة كمال أعمالك وحسن أحوالك. فإن نويت الإقامة بمكة المشرفة فاعلم أنك جار الله وفي حرمه. أو في المدينة المشرفة، فاعلم انك جار رسول الله صلى الله عليه

(1) ما بين القوسين سقط من (خ ع ر).

وسلم، في دار هجرته. فلتكن في أي الموضعين كنت متأدباً بآداب المقربين في حضرة الله، قائماً بوظائف العبودية، مؤدياً لحقوق الربوبية، سالكاً مسلك الأدب مع نبيك صلى الله عليه وسلم كأنك بين يديه في حياته. ولتكن جارياً في جميع معاملاتك عن سبيل الكمال، مستقيماً فيما يصدر منك من الأقوال والأفعال والأحوال فإذا توجهت إلى بلدك وعزمت السير إلى أهلك فليكن قلبك دائما معلقا بمنازل[1] الأحباء ولا تزال منوجهاً بوجه قلبك إلى حرم الله تعالى وموطن رسوله صلى الله عليه وسلّم. ولتكن في سفرك وأوبتك على ذلك السير القديم الذي قدمته لك أولاً عند خروجك من منزلك. فإذا كنت كذلك في سفرك وأوبتك فقد حصل لك رتبة الرجال وانتظمت في سلك أهل الكمال.

(1) في (خ ع ر): بحنان الأحباب.

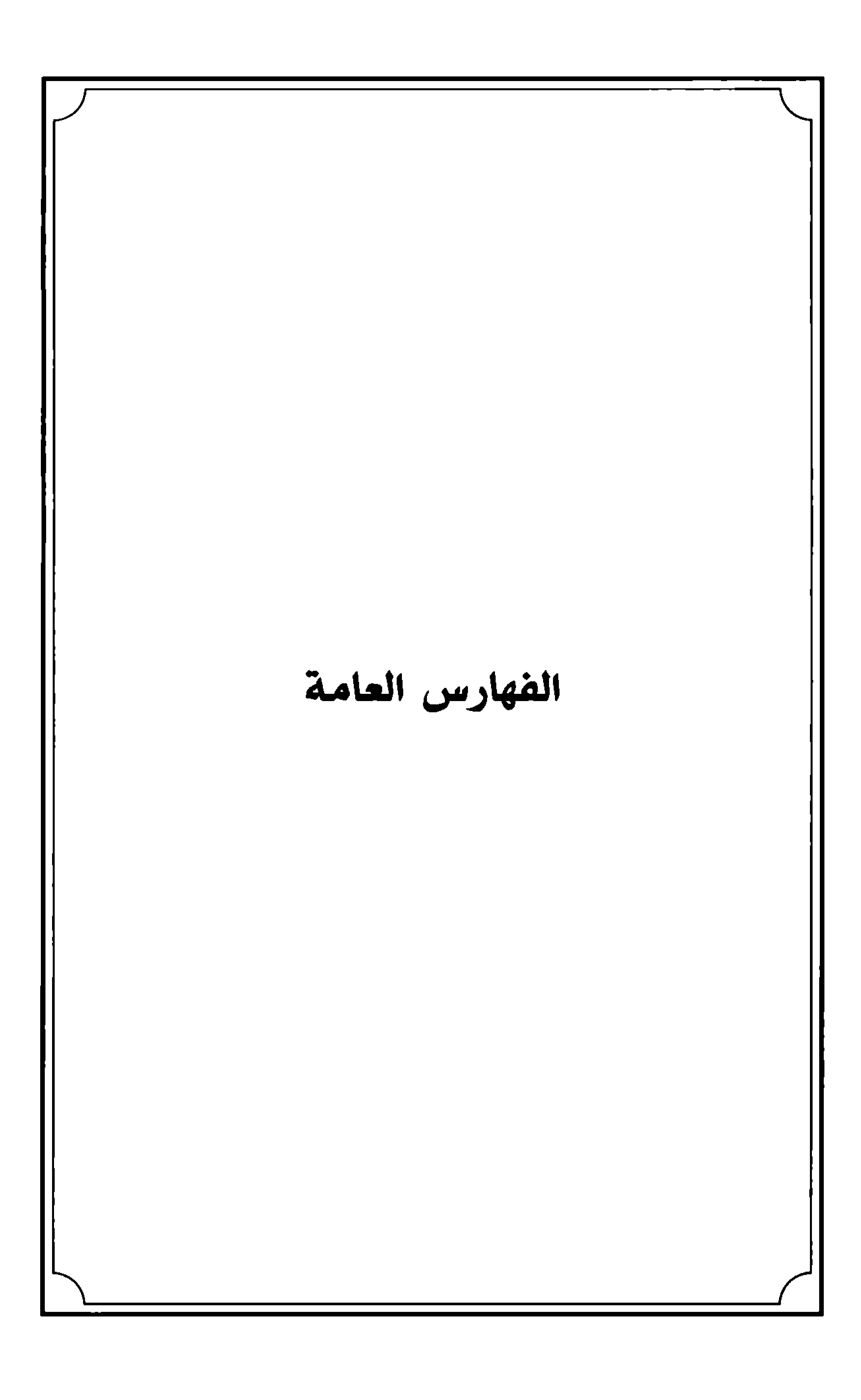
الخاتمــة

وإلى هنا تم ما قصدنا، وبه وعدنا، والله سبحانه أسأل أن يوفقنا ويعيننا على الوفاء بحقوق الربوبية، وأن يقيمنا في مقام العبودية بمنّه وفضله، وجوده وكرمه، وهو ربنا حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة لا بالله العلي القدير العظيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد النبي الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً إلى يوم الدين.

انتهى والحمد لله وكفى[1] وسلام على عباده الذين اصطفى أواخر صفر ثاني عام ستة وألف سنة. صفر عام 1006هـ[2]

(1) انتهى بحمد الله تعالى وحسن عونه. زيادة من (خ ع ر).

(2) (خ ع ر) لم يذكر تاريخ النسخ.



الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام

فهرس مصطلحات التوحيد

فهرس الفرق والطوائف والأسر

فهرس المدن

فهرس الأبيات الشعرية

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر المخطوطة:

(1) أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي.

* شرح الإرادة. مخطوط بمكتبة أوقاف طرابلس.

* مزيل اللبس عن آداب وأسرار القواعد الخمس. مخطوط بالخزانة العامة تحت رقم 1860

د. ضمن مجموع من ص 33 إلى ص 59. ومخطوط خاص بفاس.

ثانياً: المصادر والمراجع المطبوعة:

(1) ابن الأثير.

* الكامل في التاريخ. اثنا عشر جزءاً. طبع بمصر 1303هـ.

(2) ابن حجر العسقلاني.

* الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. أربعة أجزاء.

طبع حيدر أباد 1950 ـ 1945م.

(3) ابن خلكان.

* وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق إحسان عباس. بيروت. دار الثقافة. د.ت.

(4) ابن عساكر

* دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر المطبعة الحجرية. فاس. 1309هـ = 1892م. ومطبعة دار المغرب. الرباط. 1976م.

(5) ابن عطاء الله الاسكندري.

* الحكم العطائية. منشورات المكتبة الأزهرية للتراث. دار الأمل للطباعة والنشر مصر 1996م.

(6) ابن القاضي.

* جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس. المطبعة الحجرية. فاس. 1309هـ = 1891م.

(7) أبو سالم العياشي.

* الرحلة العياشية. المسماة ماء الموائد في مجلدين. طبعت على الحجر بفاس 1316هـ.

(8) أبو نعيم الأصفهاني.

* حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. طبع بمصر عام 1351هـ.

(9) إبراهيم بن علي الشيرازي.

* طبقات الفقهاء. طبع بغداد. د.ت.

(29) إبراهيم زكي خورشيد وجماعة.

* دائرة المعارف الإسلامية. طبعت في مصر سنة 1933 ـ 1957م.

(10) أحمد بابا التنبكتي.

* نيل الابتهاج بتطريز الديباج. منشورات كلية الدعوة الإسلامية. طرابلس 1989م.

(11) أحمد بك الأنصاري.

* المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب. مكتبة الفرجاني. طرابلس ـ ليبيا.

(12) شارل فيرو.

* الحوليات الليبية. ت عبد الكريم الوافي. نشر المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان. ط 1983م.

(13) الطاهر أحمد الزاوي.

* ولاة طرابلس من الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي. ط 1. دار الفتح للطباعة والنشر بيروت ـ لبنان. د. ت.

* أعلام ليبيا. ط 1. 1387هـ = 1961م. نشر وتوزيع مكتبة الفرجاني.

(14) عادل نويهض.

* معجم أعلام الجزائر. المكتب التجاري. بيروت. 1971 م.

(15) عبد الله كنون.

* النبوغ المغربي في الأدب العربي. دار الكتاب اللبناني. الطبعة الثانية.

(16) عمر رضا كحالة.

* معجم المؤلفين. دمشق. 1377هـ = 1957م.

(17) محمد بن أحمد الحضيكي.

* مناقب. الطبعة الأولى. المطبعة العربية. الدار البيضاء. 1355هـ.

(18) محمد بن عبد الرحمن السخاوي.

* الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. طبع بمصر بمطبعة القدس 1355هـ.

(19) محمد بن غلبون.

* تاريخ طرابلس الغرب المسمى التذكار. تعليق الطاهر الزاوي. القاهرة. 1349هـ.

(20) محمد حجي.

* الحركة الفكرية في عهد السعديين. منشورات دار

المغرب للتأليف والترجمة والنشر. مطبعة فضالة. 1409هـ = 1989م.

(21) محمد بن محمد مخلوف.

* شجرة النور الزكية في طبقات المالكية. دار الفكر للنشر والتوزيع. القاهرة. 1350هـ.

(22) الإمام مسلم.

* صحيح مسلم بشرح النووي للإمام الحافظ ابن زكريا يحيى بن شرف النووي على هامش إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري.

المحتويات